



روايات مصرية للجيب

لن أنساك

زهور

٤٤



Looloo

www.dvd4arab.com

شريف شوقي

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع

٩٠٨٤٥٥ - القاهرة - ت. ٩٠٨٤٥٥

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبأبتعاده عن  
الأناية والرغبات والشهوات ، لم هو أعظم شىء خلقه الله في  
هذا الوجود !!

وفي هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية  
والأناية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا ..  
نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستشق  
عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..  
وفي كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل  
من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر ..  
ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

## ١ - حب .. وتضحية ...

انطلقت أتجاوز سيارتى كل السيارات الأخرى . التى  
تعترض طريقى ، كما لو كنت مجنوناً ، غير عابئ بإشارات  
المرور ، ولا بتلك الاحتجاجات ، التى أخذ أصحاب  
السيارات يعبرون عنها بأبواق سياراتهم ..

وقتها لم اكن أسمع شيئاً ، ولم اكن أعى ما يدور حولي  
مطلقاً ، فقد تملكتنى فكرة واحدة فقط ، سيطرت على عقلى .  
ونزعت عنه كل ما عداها من أفكار أخرى ، وهى أنه يجب ألا  
أدعها ترحل ، دون أن أودعها . وعلى الرغم من أنها كتبت فى  
قصاصاتها ، التى تركتها لى اليوم . أنها فضلت الرحيل دون  
وداع ، لما سيطوى عليه الوداع من قسوة ، لا قبل لها  
بتحملها ، وعلى الرغم من أننى لم اكن أقل عنها خشية .  
وإشفاقاً على نفسى ، من لحظات الوداع القاسية ، التى ستعى  
أننى لن أراها بعد اليوم . إلا أننى لم أستطع تصوّر أن ينتهى كل  
ما كان بيننا هكذا ، دون حتى كلمة وداع ، ودون أن أراها  
للمرة الأخيرة ..

وما أن أوقفت سيارتي أمام باب المطار ، حتى غادرتها  
مسرعا ، دون أن أعبا حتى بالتأكيد من إغلاق بابها ، وانددت  
مسرعا داخل صالة المطار ، وعيناي الزائغتان تبحثان عنها .  
وسط جموع المسافرين ، ولكنني لم أعثر عليها ، فتقدمت من  
ضابط الجوازات أسأله عنها ، ولكن قبل أن أفعل تحتها عيناي ،  
في صالة الانتظار الداخلية ، وقد جلست على أحد المقاعد  
كانت شاردة ، وقد ظللت سحابة من الأحزان وجهها  
الجميل ، وإن لم تنقص أبدا من جماله وفتنه ..  
ذلك الوجه الذي عرفت معه معنى الحب الحقيقي ، وتلك  
الفتنة التي وقفت أمامها مبهورا ذات يوم ..

ووجدتني أصرخ مناديا إياها :

— (وفاء) .. (وفاء) .

تحولت إلى بوجهها الحزين ، ثم نظرت إلي غير مصدقة .  
وسرعان ما تحولت قسماات وجهها إلى الفرح الشديد ..  
لقد بدت في هذه اللحظة كما لو كانت طفلة صغيرة  
شاردة ، عثرت على والديها ، بعد فترة طويلة من الضياع .  
فغادرت مقعدها ، لتدفع نحو الحاجز الحديدى ، الذى يفصل  
بنى وبينها ، واستطعت أن ألمح ذلك الأحمر فى عينها ، الذى

\* \* \* \* \* ٦ \* \* \* \* \*

يدل على أنها عانت ساعات طويلة من السهد والبكاء ،  
أما وجنتها فقد تبدلتا سريعا حينما رأتنى ، فبعد أن كان  
الشحوب والاصفرار يكسوانها ، وجدتهما وقد تورّدتا ، كما  
لو كان ظهورى المفاجئ قد بعث فيهما رحيق الحياة من جديد ،  
ووجدتها تهمس بذلك الصوت الحنون ، الذى طالما أحببته ،  
قائلة :

— (خالد) .. كم تمنيت أن أراك قبل رحيلى .

قلت لها ، وفى صوتى نبرة ألم :

— ومع ذلك أردت أن تسافرى ، دون حتى كلمة

وداع .

تطلعت إليّ بعينيها الحمراوين ، فى نظرة لن أنساها  
ماحييت ، وهى تقول فى ألم :

— ألا ترى ما فى الكلمة من قسوة ؟ .. الوداع .. يالها من  
كلمة مروعة ! لقد قسوت على نفسى كثيرا ، حتى أحول بينى  
وبين حنينى لرؤياك ، ولكننى كنت أعرف أن ذلك سيكون  
أخف وطأة ، من لحظة كهذه .

قلت بأسى :

— (وفاء) .. إننى .....

ولكنها وضعت اصابعها على شفتى ، قائلة :

\* \* \* \* \* ٧ \* \* \* \* \*

— لا تقل شيئاً .. ولا تعتذر عن شيء ، لقد كان الحب  
بيننا كبيراً رائعاً ، ولكنني أعرف جيداً أن في حياة الإنسان  
أشياء أخرى ، قد تكون أكثر أهمية وقيمة ، ولقد عشت  
بالقرب منك روعة الحب وسعادته ، وتدوّقت معك أحاسيس  
لم أعرف لها مثيلاً في حياتي ، وسأظل أفقدها ما تبقى لي من  
حياتي المقبلة ، لكن يبدو أننا نسينا في غمرة سعادتنا أن للقدر  
ترتيباته ، وللحب تضحياته .. لقد منحنا القدر كل  
ما اشتيناه ، من مشاعر وأحاسيس رائعة ، وعلينا الآن أن  
نسدّد ثمن هذه السعادة ، وأن نقبل ما فرضته علينا من  
تضحية .

قلت وأنا أتناول يديها بين يدي :

— ألا يوجد حل آخر ، غير سفرك هذا ؟

وفاء :

— غير هذا لن نحبي سوى الشقاء والعذاب ، وقد  
لا يقتصر الأمر على شقاء أنفسنا ، بل سنشقى الآخرين معنا ،  
ولن أرضى لحينا أن يكون مصدرًا لشقاء أحد .

خالد :

— أليس في افتراقنا شيء من الشقاء والحرمان ؟

\* \* \* \* \* ٨ \* \* \* \* \*

وفاء :

— سيكون هذا أهون لديّ من أن ندع حيناً يقودنا إلى  
الأنانية ، والبحث عن السعادة ، على حساب أقرب الناس  
إلينا .. إن زوجتك وابنتك بحاجة إليك يا (خالد) .. بحاجة إلى  
حبك ورعايتك واهتمامك .

خالد :

— ولكنني لم أقل إنني سأقصر في أداء واجبي نحوهما وحيي  
لك لن يحول بيني وبين حبهما ورعايتهما .

وفاء :

— لن تكون خالصاً لهما بقلبك ومشاعرك ، وأية زوجة  
بحاجة إلى أن يكون زوجها خالصاً لها وحدها ، وكذلك الابنة  
بحاجة إلى أن تعتم بحب أبيها وأمها ، خالصاً لها وحدها .. ألا  
تدرى أية مأساة يمكن أن تتخلف ، لو اكتشفت إحداهما  
حقيقة حيناً ذات يوم ؟ .. إن حبي لك لم يكن أنانياً ابداً  
يا (خالد) ، ولم أكن لأسمح له أن يكون أنانياً ، ويقدر  
ما أحبك ، بقدر ما أحرص على سعادتك وسعادة المحيطين  
بك .

خالد :

\* \* \* \* \* ٩ \* \* \* \* \*

— سعادتي أن تكوّنني إلى جوارى .. مجرّد أن أشعر بأنك موجودة في نفس المدينة ، التي أعيش بها ، سيمنحني قدرًا من السعادة ، حتى ولو لم نلتق .  
وفاء :

— لن نخدع أنفسنا يا (خالد) ، فأنت تعرف جيدًا أننا لن نقوى على كبت مشاعرنا ، ومقاومة حنين قلوبنا .. لقد عقدت العزم على أن أسافر إلى (كندا) ، دون عودة ، ودون أن أبوح لك حتى بعنواني .. سيكون هذا أفضل لنا ، ولكن عليك أن تثق دائمًا أنه إذا كان جسدانا سيفترقان ؛ فإن قلبي سيبقى دائمًا ملكًا خالصًا لك .

كنت أعرف أن ما قالته صحيح ، وأن الأمور لن تستقيم لنا أبدًا ، مادمتنا نملك تلك المشاعر الجارفة القوية ، التي تكاد تصرخ بحبنا ، وتعلنه على رؤوس الأشهاد .. لقد كان حبنا أقوى من أن نخفيه ، أو نظويه في أعماقنا كذكرى ، لا صلة لها بحضورنا ، ومهما قيل عن أننا شخصان ناضجان متزانان ، يمكنهما التحكم في عاطفتيهما ، والتعامل معها وفقًا لأحكام المنطق والواقع ، وليس باندفاع المراهقة وسراب الخيال ، فلا أعتقد أن مثل هذه الكلمات البليغة كانت ستصمد لحظة واحدة ،

أمام تلك العاطفة الكاسحة ، التي اجتاحت قلوبنا ، والتي لا تُفترق ، بين سنوات المراهقة وسنوات النضج ، ولا تعترف بمنطق أو واقع ؛ فحب كبير ، كالذي جمع بيني وبين (وفاء) ، كان لا بد أن يعلن عن نفسه دائمًا ، في كل لحظة ، وكان سيصرفنا عن هم حولنا ، وبهاجة إلينا ، كما لا بد أنهم كانوا سيلاحظونه ويفهمونه بشكل غير حقيقي ، وحتى لو تبينوا حقيقة هذا الحب الكبير ، فلم يكن هذا يعني بالنسبة لهم سوى شيء واحد ، وهو أن جزءًا كبيرًا من نفسي وعقلي وكياني ، قد أصبح منكلاً لأخرى ؛ لذا كان من الأفضل لقلوبنا أن نفرق ، حتى تعود الأمور فتستقيم ، بالنسبة لي واللتين سجدت من أجلهما لله ، حمداً وشكراً على عودتهما إليّ ، بعد أن فقدت الأمل في رؤيتهما مرة أخرى ..  
نعم كان رحيلها سيحل المشكلة بالنسبة للجميع . على الأقل جزئيًا ..

كان هذا هو ما يحدثني به عقل الرجل الناضج ، رجل الأعمال الذي شهد له الجميع برجاحة العقل واتزان العاطفة .  
والحكم الصحيح على الأمور ..  
ولكن قلبي العاشق كان يختلف تمامًا ، فيما يحاول أن يقنعه به هذا العقل .

لم يكن يعرف سوى شيء واحد ، وهو أنه لا يقبل أن يُحرم  
منها أبداً ، بعد أن أحبها كل هذا الحب ، ومهما كانت  
النتائج .

وبدأت أشفق على نفسي وقلبي وعيني ، من أن تُحرم  
رؤياها ، وفجأة سمعت صوت مذبذب المطار الداخلي ، وهو  
يعلن ضرورة توجه المسافرين إلى أرض المطار ، استعداداً  
لإقلاع الطائرة المتجهة إلى ( كندا ) ، ووجدتني أنتفض  
بشدة ، وقد ارتسمت ملامح الذعر على وجهي ، وكأنما جاء  
هذا التشبيه ليبنى بعنف ، على الحقيقة التي لم يعد هناك مفر  
منها ، وهي أن لحظة الفراق قد حانت ..

لقد بدا الأمر لي فجأة .. كما لو كان كابوساً مزعجاً ، فعمما  
قليل ستقلع تلك الطائرة ، وبدخلها ( وفاء ) ، الإنسانية  
الوحيدة التي أحببتها حيناً لم أعرفه طوال سنوات عمري ، التي  
تعذت الأربعين ، وذلك يعنى أننا قد افترقنا عن بعضنا  
البعض ، ولم نعد نعرف ما إذا كنا سلتقى مرة أخرى أم لا ..  
هل من المعقول ، بعد كل هذا الحب الكبير ، أن ينتهي  
الأمر بيننا بهذه البساطة ؟ ..

هل يمكن أن أدع هذه الطائرة تأخذ مني سعادتي ، وتقلع

بجزء من نفسي ، دون أن أناضل في سبيل الإبقاء عليها ؟ ..  
وجدتني أتشبث بيديها ، عبر الحاجز الحديدي ، الذي  
يفصل بيننا ، قائلاً بصوت يموج بالرجاء :

— ( وفاء ) .. لا ترحلي .

تشابكت أصابعنا ، وعيناها تختنق بالدموع ، وهي  
تقول :

— لا مناص من الرحيل .

وأخذت أصابعنا تتباعد ، وقد عادت كلماتها تلخ على  
عقلي : « لقد منحنا القدر كل ما اشتيناه ، من مشاعر  
وأحاسيس رائعة ، وعلينا الآن أن نسد ثمن هذه السعادة ،  
وأن نتقبل ما فرضه علينا القدر من توضيحات » .

كانت أمامي تتراجع بظهورها ، والعبيرات تتساقط على  
وجنتها .. ( وفاء ) .. حبيتي .. أجمل شيء مر في حياتي ، منذ  
أن وعيت هذه الحياة ..

ولم أعد مستعداً لتقبل ذلك المنطق ، وتلك الكلمات التي  
حاولت أن تفنعني بها ، كما لم أعد مستعداً لسماع صوت العقل  
في هذه اللحظة ، ووجدتني أصرخ منادياً :

— ( وفاء ) .. ( وفاء ) .

وجاء صوتها من بعيد ضعيفاً ، واهناً ، وهي تقول :

— وداعاً يا (خالد) .. وداعاً يا حبيبي ..

وهكذا أقلعت الطائرة ..

حملت معها جزءاً من نفسي وكياناً إلى الجوهول الذي لن أعرفه ..

وكان عليّ أن أتقبل حقيقة أننا قد افترقنا ، وأننى لن أعود  
فقد اعنيت تلك الأحاسيس الجميلة في الليل قبل نومي ، كلما  
تذكرت كيف أمضيت معها يومي ، وكيف سأستقبل معها  
غدى ، بعدها ستتساوى الأيام ، وسيجمل الواجب محل  
الحب ، وسيتمنّى عليّ أن أعمل على إسعاد ابنتي وزوجتي ،  
والسهر على راحتها ، وتأمين حياتها المقبلة ، بعد أن فقدت  
سعادتي ، وودعت حبي ..

وتوقفت بسيارتي أمام منزلي برهة من الوقت ، وأنا أتطلع  
إلى نوافذه المضاءة ، ثم تناولت اللقافة الكبيرة ، الموضوعية في  
المقعد الخلفي ، وغادرت السيارة ، وما أن بدأت أخطو نحو  
أولى درجات السلم الصغير ، المؤدى إلى مدخل فيلتي ، حتى  
وجدت الباب يُفتح بغتة ، ليطل من خلفه وجه ابنتي الحبيبة ،  
وهي تهرع إليّ من خلفه قائلة :

— أبى الحبيب .. لقد أوحشتني للعافية ..

وأحتضنتني بشدة ، كما لو كانت تخشى أن تفقدني ، قائلة :

— لماذا تأخرت كل هذا الوقت ؟

قبلت جينها ، وأنا أقدم إليها اللقافة ، التي أحضرتها ،  
قائلاً :

— من أجل أن أحضر لابنتي الحبيبة الثوب الذي أعجبها .  
صرحت وهي تحتطف اللقافة من يدي بلهفة :

— معقول !؟ هل أحضرت لي ذلك الثوب الذي رأيناه في  
واجهة المعرض أمس ؟

قلت لها بخنان ، وأنا أمسح بيدي على شعرها الأسود  
الناعم :

— وهل كان من الممكن ألا أشتريه ، بعد أن رأيت بريق  
الإعجاب يطل من عينيك ، وأنت تتأملينه في تلك الواجهة ؟

تطلعت إليّ (حنان) بعينين تعبران عن امتنانها ، قائلة :

— ولكنى لم أطلب منك شراءه .

أجبتها مبتسماً :

— ولم أكن لأنتظر حتى تطليه .. كان يكفي أن أرى  
تلك النظرة في عينيك ؛ لأهرع لشراؤه على الفور .  
عادت تحتضني بشدة ، قائلة :

\* \* \* \* \*

\* \* \* \* \* ١٥ \* \* \* \* \*

— أنت أعظم أب في العالم .

ومن خلفها وجدت زوجتي واقفة عند الباب ، بابتسامتها  
الحنون المهادنة ، التي تتناسق مع ملامح وجهها ، الذي يحمل  
نفس الهدوء والحنان ، وهي تستقبلني قائلة :

— لقد قلقت من أجل تأخيرك ، وعندما اتصلت بمكتبك  
أخبروني أنك غادرت ، منذ ثلاث ساعات مضت .

تناولت كفيها بين يدي ، وأنا أقبلها في وجنتها ، قائلاً :  
— لقد أضطرتني الظروف لأداء بعض الأعمال ،  
وإحضار ذلك الثوب من أجل (حنان) .

تعلقت بذراعي ، وهي تقودني إلى الداخل ، بعد أن سبقتنا  
ابنتنا في الدخول ، وحل رباط اللقافة ، التي تحوى على  
الثوب ، قائلة :

— حمدا لله على سلامتك .

وفي خلال دقائق ، كانت (حنان) قد ارتدت الثوب ،  
ووقفت تستعرضه أمامنا في أنوثة مبكرة ، قائلة لأمها :

— هل رأيت كم هو رائع يا أمي ؟

والتفتت إليّ زوجتي ، قائلة :

— إنك تدلل هذه الفتاة بأكثر مما يجب .

أحطت كفيها بذراعي ، قائلاً :

— ليتني أستطيع تعويضكما عن كل ما عانيتاه ، خلال  
الأعوام الماضية .. صدقتني يا (سلوى) .. لقد أصبح هدفي  
الوحيد في هذه الدنيا ، هو العمل على إسعادكما .

وردت عليّ برقتها المهدودة :

— سعادتنا الحقيقية هي في وجودنا إلى جوارك  
يا (خالد) . ونظرت إليّ فجأة بقلق ، قائلة :

— لماذا تبدو عينك مرهقتين ، حمراوين هكذا ؟

تنهت إلى أن محاولتي مغالبة تلك الدموع ، التي احتسبتها  
في عيني ، إثر رحيل (وفاء) ، ثم استسلمي لانسباب تلك  
الدموع فوق وجنتي ، قد تركت آثارها في عيني ، وقلت لها  
سريعا ، محاولا اصطناع ابتسامة باهتة :

— هذا من أثر العمل ، والقراءة لساعات طويلة في بعض

الملفات .

قالت بحنان :

— يجب أن تعتني بصحتك جيدا يا (خالد) ، فأنت ترهق

نفسك كثيرا في العمل .

.. أردت تغيير الموضوع ، فانتهزت فرصة صعود (حنان)



إلى غرفتها ، ووضعت يدي في جيبى ، لأخرج منه علبة صغيرة ، قدمتها لزوجتى قائلاً :

— وهذه من أجلك ؛ حتى لا تقولى إننى قد نسيتك .  
تناولتها بين يديها في فضول ، قائلة :

— ماهذه ؟

— افتحها .. لترى بنفسك .

وفتحتها وهى تتراجع برأسها إلى الوراء ، وفى عينيها نظرة انبهار هاتفة :

— خاتم ماسى ... ! إنه أكثر من رائع .

داعبتها قائلاً :

— حتى لا تغارى من ابنتك ، وتهمينى بأننى أدللها وحدها .

سألتنى ، وقد حلت نظرة إشفاق فى عينيها على ميزانيتى محل نظرة الانبهار الأولى :

— ولكن لماذا يا (خالد) ؟ أقصد ما المناسبة ؟

قلت وأنا أحل رباط عنقى :

— وهل لا بد من مناسبة ، لكى أحضر هدية صغيرة لزوجتى الحبيبة ؟

\* \* \* \* \* ١٨ \* \* \* \* \*

— كل هذا هدية صغيرة ؟! إنه باهظ الثمن ولا شك .  
قبلت جيبها قائلاً :

— لاشئ يكتر عليك .

— ولكن يا (خالد) ....

قاطعتها قائلاً :

— (خالد) زوجك جوعان للغاية ، هيا أعدى لنا الطعام

أولاً ، ثم تحدّثى معى ماشئت بعد هذا .

قبلتني قائلة :

— حالاً يا حبيبى .

وتأملتها وهى تستدير متجهة إلى المطبخ ، وشعرت بحالة

من الرضاء والسكينة ، وأخذت أردد لنفسى ، وأنا أرى ابنتى

تبعها :

— نعم .. هاتان اللتان بعث بهما الخالق إلى حياتى ،

تستحقان التضحية .. صدقت (وفاء) .. ربما تحملت الحياة

بقلب معذب ، ولكننى لم أكن لأحملها مطلقاً بضمير مثل .

وبعد أن انتهينا من تناول طعام العشاء ، جلست بين

زوجتى وابنتى ، نشاهد البرنامج الذى يعرضه (التليفزيون) .

وعدت لتأملهما مرة أخرى سعيداً بأسرتى الصغيرة . وقد

\* \* \* \* \* ١٩ \* \* \* \* \*

ألقت ابنتي رأسها على صدرى ، مستسلمة لحركة أناملى فى شعرها الأسود الناعم ، المنسدل فوق كتفها ، فى حين أحاطت يدى الأخرى بمخصر زوجتى ، التى ألقت رأسها بدورها على كتفى ، مستسلمة للدفاء ، الذى يعته التصاق جسدينا على هذا النحو ..

كان (التليفزيون) يعرض مسرحية ضاحكة ، وسرعان ما اندمجت زوجتى وابنتى مع أحداث المسرحية ، وتعاملت ضحكاتها ، أما أنا فلم أكن متبها لما يدور أمامى على الشاشة ، فقد انتابتى حالة من الشرود ، جعلتنى أحلق بعقلى بعيدا .. بعيدا .. وأنا أستعيد ذكريات لقائى الأول بها ..  
بـ (وفاء) .



## ٢ - الحياة من جديد ..

فى ذلك اليوم كنت قد بدأت أولى مظهرى عناية حقيقية ، وأنا أقف أمام المرأة ، أتأمل حلتى الجديدة ، وطريقة تصفيف شعرى ..

لقد مر علىّ قبل ذلك اليوم عام وبضعة أشهر ، دون أن يبدو أى اهتمام بمظهرى على هذا النحو ، فقد كنت غالبا أرتدى أول حلة تلتقطها يدى كى أذهب بها إلى عملى ، ولم أكن أكثرث كثيرا بأن يكون شعرى مهذبًا أو مشعًا ، بل لم أكن أولى أية عناية لطعامى وشرابى ، مما جعلنى أبدو شاحب الوجه ، على نحو لافت للنظر ..

وفى الحقيقة ، فإن تلك الفترة من حياتى ، كانت من أسوأ الفترات التى مرّت علىّ ؛ فقد كنت مكتئبا على نحو دائم ، ولم تكن لى رغبة فى الحياة ، أو الاستمرار فيها .. لقد عافت نفسى كل شئ ، ولولا خشيتى من الله ، لأقدمت على الانتحار . فمئذ جاءنى ذلك الخبر المشؤم ، بغرق السفينة السياحية .

التي كانت زوجتي وابنتي ضمن ركابها ، بالقرب من  
السواحل اليونانية ، وتحوّل العديد من الخبث إلى أشلاء ، على  
نحو يصعب معه تعرّف أصحابها . وأنا أعيش هذه الحالة  
النفسية القاسية ..

لقد كانت ابنتي وزوجتي هما كل حياتي ، على الرغم من  
أنني لم أقترب بزوجتي (سليوى) عن قصة حب ، وإنما جاء  
زواجنا تقليدياً ، عن طريق الأهل والأقارب ، فإنني أصبحت  
شديد الارتباط بعد الزواج ، وازداد إعزازي لها ، بعد كل  
مارأيتها من سلوكياتها ، منذ اللحظة الأولى التي إقترنا فيها معاً ؛  
إذ كانت تعمل دائماً على إسعادى ، وتتفانى في خدمتى  
وراحتى ، برغم أنها كانت تردّد دائماً على مسامعى أنها تعرف  
أننى لا أحبها ، بتلك الطريقة الرومانسية ، التي كانت تفكر بها  
وتتمناها ، وكنت أنقى ذلك دائماً ، وأحاول أن أشعرها  
بتقديرى الشديد ، واعتزازى البالغ بها ، إلا أنه يبدو أننى لم  
أنجح أبداً في التعبير عن مشاعرى نحوها ، على النحو الذى  
كانت تأمله ، أو في بثها عاطفة قوية ، من ذلك النوع الذى  
يتجاوز التقدير والاعتزاز ، ولم يكن لى حيلة فى ذلك ؛ فلم  
أكن من ذلك النوع من الرجال ، الذين يجيدون استخدام

عبارات الغزل ، كما أننى لم أعرف دسر النوع من العواطف  
المنتهية طوال حياتي ، حتى فى سنوات المراهقة ؛ إذ كان العمل  
دائماً هو متعنى الأولى ، وظلّ الجانب العملى طاغياً دائماً على  
أسلوبى فى الحياة دون سواه ، ولكن هذا لم يحل مطلقاً بينى وبين  
تقديرى لزوجتى ، حتى رزقنا بانثا الوحيدة (حنان) ،  
فتلمست فى نفسى نوعاً من العاطفة ، لم أعهدده من قبل ، وهى  
عاطفة الأبوة ، التي يبدو أنها كانت العاطفة الوحيدة التي  
طغت على مشاعرى ، دون أن أعرف لها حدوداً ، وزاد ذلك  
من عمق الرابطة ، التي جمعت بينى وبين زوجتى ، وأصبحت  
أسرق الصغيرة هى كل حياتي ، إلى أن جاء ذلك اليوم  
الأسود ، الذى فكّرت فيه فى إسعادها برحلة سياحية  
ترفيهية ، عن طريق الباحرة ، على أن ألحق بهما بعد الانتهاء من  
أداء بعض أعمالى فى (القاهرة) ، بوساطة الطائسرة إلى  
(اليونان) ..

كانت أعمالى قد استغرقت الكثير من وقتى ، وكنت  
أعرف أن ذلك يأتى على حساب أسرتى . وعلى الرغم من أن  
زوجتى لم تحاول أن تشكو ، إلا أنه ما إن أتحت لى الفرصة ،  
حتى قمت بشراء ثلاث تذاكر لنا ، لقضاء الإجازة السنوية ،  
على

الباخرة السياحية المتجهة إلى ( اليونان ) ، أملاً في الحصول على بعض الاستجمام ، عن طريق تلك الرحلة البحرية ..

وليتى سافرت معهما ، لكى ألقى نفس مالمقيته من مصر ، ولكن القدر حال دون ذلك ، ووجدتني مضطراً إزاء بعض الأعمال ، التى كان يتعين على أدائها قبل سفري ، أن أبقي بعض الوقت في ( القاهرة ) ، وأرادت ( سلوى ) أن تبقى معى حتى نسافر معاً ، ولكننى طلبت منها أن تسبقنى ، عن طريق البحر إلى ( اليونان ) ، على أن الحق بها بواسطة الطائرة ، حتى لا أحرهما جمال الرحلة البحرية ..

و شاء القدر أن تفرق السفينة ، وأن يتحوّل ركابها إلى أشلاء ، تتازعها أسماك البحر ..

وهكذا فقدت أسرتى الصغيرة ، وفقدت معها أية رغبة في الحياة ، ثم تحوّلت بهومى إلى العمل ، أغرق فيه أحزاني ، وأهرب به من الآمى ..

ومنذ يومين فقط ، بدأ الحزن يثقل على نفسى ، وشعرت أننى بحاجة إلى التخلص من همومى ، والعودة مرة أخرى إلى ممارسة حياتى الطبيعية ، وعلى الرغم من إحساسى بالذنب ؛ لتفكيرى على هذا النحو ، وبأنسى لم أعد مخلصاً لزواجتى

\* \* \* \* \* ٢٤ \* \* \* \* \*

وابتنى ، على النحو الذى يتحتم على أن أكونه ، إلا أنه يبدو أن الحزن ، مهما كانت قسوته ، لا يبد له من نهاية ، والحنه ، مهما كانت شدتها ، لا يبد من تجاوزها ذات يوم ، ومحاولة التغلب عليها بالنسيان ..

وهكذا قرّرت الاستسلام لمشيئة الخالق ، والعودة مرة أخرى لحياتى الطبيعية ، فعدت أعتى بمظهري ونفسى من جديد ، وأقضى ساعات أقل في عملى ، وأرتاد الحفلات التى يقيمها رجال الأعمال من آن لآخر ، وكذا أماكن الترويح .. الشئ الوحيد الذى لم أفكر فيه أبدا هو المرأة ؛ فلم أكن مستعداً للتفكير بأى حال من الأحوال ، في وجود امرأة أخرى في حياتى ، غير زوجتى التى فقدتها ..

وعدت أنظر إلى صورتي في المرآه ، وشعرت أننى قد بالغت بعض الشئ في تألقى ، وربما أن هذه المبالغة من جانبى كانت نوعاً من التعويض ، عن فترة الحزن والإهمال الطويلة ، التى عاملت نفسى بها ، طوال الأشهر الماضية ..

لقد بدأت بعض الشعيرات البيضاء تتخلل شعري الأسود اللامع ، ولكنها لم تُنقص كثيراً من وسامتى ، بل ربما أضافت لوجهى شيئاً من الجاذبية ، فلك الشعيرات البيضاء كانت

\* \* \* \* \* ٢٥ \* \* \* \* \*

تضفى على شيئاً من المهابة ، وتعلن بوضوح عن نضوجى ..  
وسرعان ما تملكنى إحساس بالضيق ، وأنا أسأل نفسى :  
لماذا أعامل نفسى بمثل هذه الترجسية المقيته ، التى لم أعهد لها فى  
طبيعتى من قبل ؟ ..

أهو الإحساس بالتقدم فى العمر ؟ .. أم أننى أحاول أن  
أكسب بعض الثقة بالنفس ، التى افتقدتها من جراء العزلة عن  
الحياة الطبيعية لفترة طويلة ؟ ..

وأخذت أهبط فى درجات السلم المؤدى إلى الدور  
الأرضى ، من الفيلا التى أقتنها ، فى شىء من التكاسل ، وقد  
عمرنى شعور مفاجئ بعدم الرضاء عن النفس ..

شعور ظل يتابنى من آن لآخر ، طوال اليومين الماضيين ،  
ليذكرنى بأنه يتعين على ألا أكون سعيداً ، أو مزهواً بنفسى ، أو  
راضياً عن نجاحى ، وأننى يجب على أن أتألم دائماً ، وألا أنسى  
الألم ، بعد أن فقدت زوجتى وابنتى الوحيدة ..

وعلى الرغم من إصرارى على نسيان الألم والحزن ، وليس  
نسيان الزوجة والابنة ، اللتين لن أنساهما أبداً ، إلا أننى لم  
أستطع أن أتغلب على هذا الشعور ، الذى كان يجرمنى  
الاستمتاع بلحظات سعادة دائمة ..

واستقبلنى عم (حسين) ، الرجل الذى يقوم على  
خدمتى ، قائلاً :

— هل أعد لك الإفطار يا (خالد) بك ؟  
قلت ببرود :

— لا يا عم (حسين) ، سأتناوله فى مكتبى .  
وسألنى قائلاً :

— وهل ستعود فى موعد الفداء ؟  
شردت لحظة وأنا أسترجع فى ذاكرتى مواعيد ارتباطى ،  
ثم قلت :

— ربما أتأخر قليلاً .

عاد يسألنى بطيبته المعهودة :

— (خالد) بك .. لا تتواخذنى .. فقد سمحت لى أن  
أعاملك كابنى .. هل هناك شىء يضايقك ؟  
رسمت على وجهى ابتسامة باهتة ، قائلاً :

— لا يا عم (حسين) .. اطمئن .. لا يوجد ما يضايقنى .  
نظر الرجل إلى وجهى متشككاً ، وهو يقول :  
— هل نسيت أنى أعرفك جيداً ؟ .. لقد أسلمنا أمرنا  
لله ، وتجاوزنا اخنة التى ألمت بنا .. أليس كذلك ؟

قلت وأنا أهر رأسي :

— نعم .. نعم .. إنني أحاول تجاوزها .

— تحاول .. ولكن يابتي ..

قلت له بضيق ، مقاطعاً :

— عم (حسين) .. قلت لك إنني أحاول ، وهاتئذ تتراني

أعنتي بثيابي ، وأقضى بعض الوقت في الخارج ، بعيداً عن

العمل ، وأتقى بالأصدقاء والمعارف ، وأضحك بصوت عال

من أن لآخر ... إنني أحاول ، ولكنني لا أستطيع أن تغلب

على تلك الأحزان ، التي مهاجمني في بعض الأوقات .. إنها

زوجتي وابنتي ، ألا تدرك قسوة ذلك على نفسي ؟

وخفض الرجل وجهه احتراماً لآلامى ، قائلاً :

— نعم .. أعرف فداحة مصابك ، ولكنى أرجو ألا

تقطع عن الاستمرار في المحاولة ، حتى تغلب على كل

أحزانك ، وثقل على الحياة مرة أخرى ، الصورة التي

عهدتكَ عليها .

ودعته وأنا أنصرف :

— اطمن يا عم (حسين) ، أنا أيضاً مللت الحزن ، وأريد

أن أعود لحياتي .

ودخلت إلى المكتب ، بعد أن حبيت الموظفين العاملين معي

تحية الصباح ، وأنا أرسوم على وجهي ابتسامة ودوداً ، وقابلتني

سكرتيرتي قائلة :

— لقد اتصل بك (عبد الغفار) بك ، منذ ربع ساعة .

سألته :

— (و (مدكور) .. ألم يتصل بعد ؟

جمعت بعض الأوراق من فوق مكتبها ، لتضعها في ملف

واحد ، وهي ترد على قائلة :

— كلا .. هل أحضر لسيادتكَ الأوراق التي طلبتها

أمس ؟

توقفت أمام باب حجرتي قليلاً ، ثم استدرت إليها قائلاً :

— (سعاد) .. هل يمكنك إعداد إفطار خفيف لي أولاً ؟

فقط شطيرة أو اثنتين مع كوب من الشاي .

أعادت (سعاد) الأوراق إلى المكتب قائلة : كما لو كانت

قد فرحت بهذه المهمة ، التي كلفتها إياها :

— حالاً يا (خالد) بك .

ودفعت باب حجرتي ، وأنا أدخل قائلاً :

— أشكرك .

وبعد قليل ، كنت أجلس أمام مكتبي ، أراجع تلك الأوراق الخاصة بعملية تصدير الموالح ، وأتناول إفطاري المكوّن من شطيرة جبن وكوب شاي ، وفجأة سمعت صوت سكرتيرتي ، عبر السّماعة الداخلية ، الموضوعه فوق مكتبي ، وهي تقول :

— الأستاذ (مدكور) يريد مقابلة سيادتك .

فقلت لها ، دون أن أتوقّف عن متابعة إفطاري :

— دعيه يدخل .

كان (مدكور) فضلا عن كونه نائبا لي ، في إدارة شركة التصدير والاستيراد ، التي أمتلكها ، يعدّ صديقا من أقرب الأصدقاء إلى نفسي ، وكان يميّز بدقّة متناهية وإخلاص حقيقي في عمله ، بالإضافة إلى خفة ظل حقيقية ، قادرة على امتصاص أصعب المواقف وأشدّها تأزّما ، وكان الوحيد الذي أسمح له أن يأتي إلى مكتبي في أي وقت ، ودون استئذان ، بالإضافة إلى أنه الوحيد الذي كنت أبوح له بأسراري ، ومشاكلي الشخصية ..

وبعد لحظات سمعت عدة طرقات على الباب ، فقلت

ساعرا :

وهل أمثالك يحتاجون إلى طرق الأبواب ؟

عادت الطرقات مرة أخرى ، فعدت أكرّر :

— منذ متى كنت مهذبًا هكذا؟! .. أدخل يا (مدكور) .

وعدت أراجع الأوراق الموضوعه أمامي ، وأنا أفضم

قطعة من الشطيرة ، والباب يُفتح ، دون أن أهتم بالنظر إلى

الصديق القادم ، وفجأة سمعت صوتها الرقيق الناعم وهي

تقول :

— عفوا .. يبدو أنني جئت في وقت غير مناسب .

رفعت عيني عن الأوراق الموضوعه أمامي ، وتوقّفت

القضمة التي أخذتها في حلقي ، لأراها واقفة على بعد عدة

خطوات من مكتبي ، وهي تنظر إليّ في استحياء .. وبدون أن

أدرى وجدتني أقفز من فوق مقعدى دون اتران ..

لقد رأيت أمامي في هذه اللحظة واحدة من أجمل الفتيات

التي وقعت عليها عيني ..

بل إنها كانت أجمل ما رأته عيني على الإطلاق ..

رأيت (وفاء) .

\*\*\*

### ٣- تحت رحمة القدر ..

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تقول الفتاة في عجب :  
— أسفة .. ولكن .. ولكنى لم أجد أحدًا في الغرفة  
المجاورة ، فاضطرت إلى أن أطرق الباب هكذا ، دون  
استئذان .

قلت لها وأنا أحاول أن أبدو ممتاسكًا :  
— آه .. يبدو أن السكرتيرة قد غادرت مكتبها ، أعتقد  
أنى أنا الذى يجب أن يعتذر ، فقد خاطبتك بطريقة غير  
لائقة ، ولكنى ظننتك شخصًا آخر كنت أنتظره .

قالت لى سريعًا :

— يمكننى أن أحضر فى وقت آخر .

ولكنى استدرت حول مكتبى ، باسطةً لها يدي ، وأنا  
أقول بلهجة مرحة :

— مطلقًا .. تفضلى بالجلوس من فضلك .

ابتسمت وهى تصافحنى بيد بضعة رقيقة الملمس ، قائلة :

— (وفاء) .. (وفاء صبرى) .

كان صوتها شديد العذوبة . له وقع خاص على أذنى ،  
فقلت لها وأنا أزدد لعانى ، مشيرًا لها بالجلوس :

— أهلاً بك .. يا (وفاء) هاتم .

وأخذت أتأملها ، وهى تجلس فوق المقعد المواجه لمكتبى ،  
كما لو كنت ريفيًا يرى إحدى فتيات المدينة لأول مرة فى حياته ،  
وأعجلنى هذا الأثر الذى تركته تلك الفتاة فى نفسى ، فلقد  
رأيت الكثير من الفتيات الجميلات طوال حياتى ، ولكن  
إحداهن لم تفتنى على هذا النحو ، ولم تنجح فى أن تدبر رأسى ،  
أو تخرجنى عن رصانتى ، وسيطرق على مشاعرى ، ولكن  
هذه كانت شيئًا آخر .. شيئًا لا يمنحك الفرصة للمقاومة . أو  
الاحتفاظ بآثرانك .

وحاولت التغلب على هذا التأثير باصطناع الجدية ، وأنا  
أعود لأجلس أمام مكتبى فى مواجهتها . قائلاً :

— هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لك ؟

قالت بنفس الصوت الناعم النبرات :

— فى الواقع ابنى أحتاج منك إلى خدمة بالفعل .

قلت لها بهدوء :



— آه إنها تلك المزرعة ، التي اشتريناها في ( قلوب ) ..  
نعم لقد تذكرتها .. لقد كلفت (مذكور) وقتها التعاقد على  
شراؤها ، وأعتقد أننا دفعنا لك المبلغ الذي طلبته .. أليس  
كذلك؟

قالت وهي تتطلع إلى وجهي مباشرة :

— نعم .. ولكنني الآن بحاجة إلى هذه المزرعة ، وأبغى  
استردادها مرة أخرى .. حقاً إنني لا أملك الآن المبلغ الذي  
يساوي ثمنها ، ولكنني مستعدة لدفع جزء من هذا المبلغ ،  
وبقية الأقساط سأقوم بسدادها على عدة سنوات ، فأنا أملك  
مصنعاً صغيراً للتطريز ، ويمكنني أن أقوم .....

ولكنني قاطعتها ، قائلاً وأنا أتسهم :

— مهلاً .. مهلاً .. إنني أقدر رغبتك هذه ، ولكنني في  
الحقيقة غير مستعد لبيع المزرعة .

نظرت إليّ برجاء ، قائلة :

— أستاذ (خالد) ، لو تعلم مقدار حاجتي إلى هذه المزرعة  
الآن .

قلت لها ، وقد تغلب عليّ طابع رجال الأعمال :

— ليتني كنت أستطيع تحقيق رغبتك ، ولكن محصول هذه

— تفضلي .

ثم استدركت قائلاً :

— آسف .. نسيت أن أطلب لك شيئاً أولاً .. ماذا  
تشرين؟

ولكنها قالت بلهجة جادة :

— أفضل أن ندخل في الموضوع مباشرة .. منذ عام  
ونصف تقريباً ، اشتريت مني مزرعة صغيرة ، عبارة عن قطعة  
أرض ، مكوّنة من ستة أفدنة ، ومنزلاً صغيراً ، عبارة عن فيلا  
بحديقة .. هل تذكر ذلك؟

قلت لها ، وأنا أجهد ذهني في التفكير لبعض الوقت :

— في الحقيقة .. لا أتذكر ذلك .. بل لا أذكر أنني  
قابلتك من قبل ، فوجد كهذا لا يمكن أن ينسى أبداً .

تجاهلت مجاملتي ، وهي تستطرد قائلة :

— إنك لم تشتري مني الأرض مباشرة .. بل اشتريتها عن  
طريق وكيل لك كما أعتقد ، وقطعة الأرض التي أحذثك عنها  
تقع في مدخل محافظة القليوبية ، وتلك الأفدنة كانت مخصصة  
لإنتاج الفراولة .

قلت وقد بدأت أتذكر :

المزرعة أصبح يدخل ضمن خططنا السنوية في تصدير  
الفواكه ، وهناك طلب متزايد في الخارج على إنتاج هذه  
المزرعة بالذات .

ظلت تنظر إلى برحاء ، وهي تقول :

— لديك أكثر من مزرعة لزراعة الفواكه ، ولديك شركة  
للتصدير ، أما أنا فبحاجة حقيقية لهذه المزرعة ، حتى لو  
تنازلت في سبيل استردادها عن كل ما أملكه .

عدت أقول ببرود . محاولاً التغلب على تأثيرها في نفسي :

— اسف .. لقد شرحت لك الأمر .

صمتت برهة من الوقت ، ثم عادت تقول :

— إذن هل يمكنك أن تبني المنزل ؟

قلت ، وقد شعرت بشيء من الحرج ، إزاء إلحاحها هذا :

— ولكنني أحتاج إلى هذا المنزل ، في الفترات التي أذهب

فيها إلى المزرعة ، للإشراف على جمع المحصول ، وتغليفه

وتعبئته . قبل إعداده للتصدير ، فهذا يقتضى مني البقاء في

المكان لعدة أسابيع ، في بعض الأحيان .

قالت بتوسل .

— إنني مستعدة لأن أدفع لك ...

ولكنني قاطعتها بخشونة :

— (وفاء) هانم ... لا داعي للإلحاح ، لقد كان المنزل

والمزرعة ملكاً لك منذ البداية ، وأنت التي عرضتهما للبيع ،

ودفعنا لك الثمن الذي أردته مقابلهما ، والآن أنا غير مستعد

لبيع ، مهما كان الثمن الذي ستدفعينه .

رأيت في عينيها نظرة حزينة متألمة ، وهي تنهض من المقعد

بانكسار ، قائلة وفي صوتها شيء من الأسى :

— أشكرك على كل حال .

حدقت فيها مرتبكاً لحظة ، وهي تهتم بالانصراف ، ثم لم

ألبث أن غادرت مقعدي ، لألحق بها عند الباب قائلاً :

— لحظة من فضلك والتفتت إلى وفي عينيها تلك النظرة

الحزينة ، التي زادتني ارتباكاً ، فقلت لها متلعثماً ، وفي صوتي

إحساس بالندم :

— أنا آسف لعدم تحقيقي رغبتك ، ولكن ..

وجدتني أقطع اعتذارى فجأة ، قائلاً :

— ولكن ما سبب إصرارك على استرداد تلك المزرعة .

ذلك المنزل بالذات ؟

رأيت دمعة تنحدر فوق وجنتها ، وهي تقول :

بعض الأطباء بالسفر إلى مصحة خاصة في (سويسرا) ، حيث  
إن (سويسرا) تمتلك وسيلة العلاج الوحيدة المتاحة ، وبقلب  
أم ملتاعة ، لم أكن لأتوانى عن علاجها ، حتى ولو كان ذلك في  
آخر بلاد العالم ، وحتى لو أنفقت في سبيل ذلك كل قرش  
أملكه .. ولما كان دخلي قد تأثر كثيراً بمصاريف العلاج  
الباهظة ، بالإضافة إلى سوء حال المزرعة ، بعد أن أهملت  
الإشراف عليها ، والعناية بها ، لانشغالي بمرض ابنتي ، قررت  
أن أبيع المزرعة والمنزل ، وأن أستخدم ثمنهما في علاج ابنتي  
بالخارج ، وهكذا عرضت عليك بيع المزرعة ، التي اشتريتها  
منى ، ثم سافرت ومعى طفلي إلى (سويسرا) ، حيث أقمت  
في المصحة التي أودعتها بها للعلاج ، ولكن الشهور توالى ،  
ولم يأت العلاج بالنتيجة المرجوة ، وكانت إرادة الله فوق كل  
شيء ، وماتت ابنتي الوحيدة تحت وطأة المرض الذي  
لا يرحم ..

وكانت وصيتها الوحيدة لي قبل موتها ، هو أن أسترده  
المزرعة التي قضت بها أسعد أوقاتها ، والمنزل الصغير الذي  
كانت تحبه من كل قلبها ، ولا تطيق الابتعاد عنه إلى أى مكان  
آخر ، لأكثر من يوم واحد .. قالت لي قبل أن تموت :

— كان زوجي صاحب هذه المزرعة ، ولقد قضيت فيها  
أحلى سنوات عمري ، وعلى الرغم من أن زوجي كان يكبرني  
بخمسة عشر عامًا ، إلا أنني لم أشعر بفارق السن معه لحظة  
واحدة .. كان زوجًا حنونًا عطوفًا بكل معنى الكلمة ، وفي  
ذلك المنزل رُزقنا بطفلتنا الوحيدة ، التي ملأت علينا المكان  
بهجة وسعادة ، ولم أكن أطلب من الدنيا أكثر من هذا .. زوج  
حنون .. وابنة جميلة .. وإيراد طيب ، تدره علينا المزرعة ،  
وبيت صغير كان زوجي يمتلكه في المدينة ، وعشنا بفضل هذا  
الإيراد حياة رغبة سعيدة مستقرة ، داخل جدران المنزل ،  
الذي أقامه زوجي بالقرب من المزرعة ، والذي صار بالنسبة  
لنا بمثابة جنة صغيرة ، ولكن القدر لم يكن رحيماً بنا حتى  
النهاية ، فقد توفى زوجي منذ سبعة أعوام ، ولم يعد متبقياً لي  
سوى ابنتي الصغيرة ، التي اكتفيت بها من كل متاع الدنيا ،  
وعملت على أن أكون لها الأم والأب في آن واحد ، ويبدو أن  
صدمتي في وفاة زوجي المفاجئة لم تكن الأخيرة ، فقد أصيبت  
ابنتي منذ عامين بداء خبيث ، ولك أن تتصور لوعتي ، عندما  
كشفت ذلك .. ولقد أنفقت الكثير من المال ؛ في سبيل  
علاجها ، ولكن كل ما أنفقته لم يأت بنتيجة ، وأشار علي

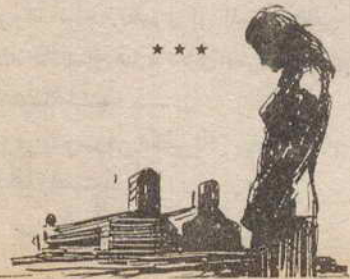
الارتباك ، لتلك الحالة التي يبدو عليها كلانا ، فاقترب مني  
قائلاً :

— هل حضرت في وقت غير مناسب؟ .. مكنتي أن آتي في  
وقت آخر لو أحببت؟ وكنت ماأزال غير قادر على أن أقول  
شيئاً ، وأنا أسترجع تفاصيل ماقالته لي (وفاء) مختلطة بذكرى  
فقدى لزوجتي وابنتي ..

لقد بدا لي في هذه اللحظة أن أحزاننا تندمج معاً ..  
وبدا (مدكور) غير قادر على مقاومة فضوله ، وهو  
يسألني قائلاً :

— (خالد) ما الذي يحدث؟  
وفي أثناء ذلك كانت (وفاء) قد غادرت الغرفة ، دون  
كلمة واحدة ، وحملت معها أهم شيء فيها ..  
قلبي

\*\*\*



— أمي الحبيبة .. لا تدعى أحدا يأخذ هذا المنزل منا ..  
إنني أحب هذا المنزل الصغير ، أكثر من كل تلك الأماكن  
الجميلة ، التي رأيتها في (سويسرا) ولقد آليت على نفسي تحقيق  
وصيتها ، ولذا جئت إليك ، محاولة شراء المزرعة ، أو المنزل  
على أقل تقدير ، لكن ماذا أفعل الآن ، سوى أن أطلب من  
روح ابنتي الغفران ، إزاء إصرارك على عدم البيع ؟  
وفي تلك اللحظة فُتح الباب فجأة ، ليدخل منه (مدكور)  
بطريقته المرحمة المعهودة ، قائلاً :

— جاء الفارس الهمام .. أعرف أنني تأخرت عليك  
قليلاً ، ولكن .. وسرعان ما توقفت الكلمات في حلقه ،  
عندما تبين له وجود سيدة معي بالداخل ، فترجع عدة  
خطوات إلى الوراء ، وهو يتسمم قائلاً :

— آسف .. لم أكن أعرف أن معك ..

وعاد يتوقف عن متابعة حديثه مرة أخرى ، وهو ينظر  
لتلك العبرات ، التي لم تجف بعد على وجنتي (وفاء) ، ونظرة  
الحزن المظلمة من عينيها ، ثم نظر إليّ ، حيث كان التأثر واضحاً  
على وجهي ، بعد سماعي قصتها ، إلى الحد الذي لم أستطع معه  
أن أنطق بكلمة واحدة ، وأحس (مدكور) بشيء من

\*\*\* \*\* \* \* \* \* \*

## ٤ — أخذتني عينياها ..

عاد (مذكور) ينظر في اتجاه الباب ، قائلاً :  
— اعتقد أنني رأيت هذه السيدة من قبل .  
قلت له ، وأنا أعود لأجلس أمام مكتبي :  
— لقد أشرتنا منها تلك المزرعة في (قليوب) منذ عام  
ونصف تقريباً .

ضرب بيده على جبهته ، قائلاً :  
— آه تذكرت .. لقد توليت الشراء نيابة عنك .. وكيف  
يمكن للمرأة أن ينسى امرأة لها كل هذا الجمال الساحر ..!؟  
ولكن .. ولكن لماذا بدت حزينة على هذا النحو؟ اعتقد أنها  
كانت تبكي ، قبل دخولي إلى الغرفة .

قلت وأنا أترجع بظهري إلى المسند الخلفي للمقعد :  
— لقد جاءت إلى هنا ؛ أملاً في استرداد المزرعة والمنزل ،  
الذين أشرتناهما منها .  
قال وهو يقترب من مكتبي :  
— قطعاً رفضت .

أجبت ، وفي صوت رنة أسف :  
— نعم .

وجلس قائلاً :

— يبدو أنها متعلقة بهذا المكان إلى حد كبير ، فمن  
الواضح أنها تألمت من رفضك هذا .  
أجبت وأنا أشعل سيجارتي :  
— كانت وصية ابنتها المتوفاة ، هي الاحتفاظ بالبيت ،  
والبقاء في هذا المكان .

نظر إلى بتمعن ، وهو يُقرب وجهه مني ، قائلاً :  
— إنك نادم على رفضك .. أليس كذلك؟  
أجبت قائلاً :

— لا أخفى عليك ذلك .. خاصة بعد أن روت لي قصتها  
مع ابنتها ، التي فقدتها وهي بعد في مرحلة الطفولة .. لقد  
ذكرني ذلك بابنتي .

ابتسم وهو يحاول أن يخفف عن كاهلي ، قائلاً :  
— هيه .. (خالد) .. لا تسلّم نفسك لتلك الأشياء  
العاطفية ، ولا تنس أنك رجل أعمال .  
قلت :

— ولكن ...

ولكنه قاطعنى قائلاً :

— ولكنك لم تحطى فى حقها فى شىء ، إننى أذكر أنها طلبت مبلغاً باهظاً مقابل مزرعتها هذه ، ودفعت لها ما أرادت ، دون حتى التفكير فى المساومة .. إذا كانت تريد أن تسترد المزرعة ، فلتدفع ضعف الثمن الذى اشتريناها به ، ولو أن محصول هذه المزرعة جيد للغاية ، وبحق إنتاجاً وفيراً ، ودخلاً جيداً لشركتنا .

قلت بصيق ، وأنا أنفث دخان سيجارتي :

— ألا يمكنك التفكير بلغة أخرى ، غير لغة الأرقام هذه ، أمام بعض المواقف الإنسانية المؤثرة ؟  
أجابنى بسخريته المهوددة :

— نعم .. أستطيع أن أفكر بلغة أخرى ، غير لغة الأرقام .. أستطيع أن أدبر لك سهرة رائعة هذه الليلة ، تسليك هذا الأثر النفسى ، الذى أحدثته فىك هذه المرأة بجمالها وقصتها الدرامية .

غادرت مكانى لأقف أمام النافذة المطلّة على الشارع المزدهم ، وقد أوليته ظهري ، قائلاً :

— لا تنس أن لى أيضاً قصة درامية ، لا تزال آثارها باقية فى

نفسى .

اقرب ليربّت على كفى ، قائلاً بمودة :

— ( خالد ) .. لقد اتفقنا أن ننسى ، ونلقى الأحزان وراء

ظهورنا .

تهتدت ، وأنا أنظر إليه برهة من الوقت ، ثم قلت :

— معك حق .. دعنا نر ماذا يمكن أن تقدمه لنا سهرتك

المزعومة هذه .

ابتسم قائلاً :

— تأكد أنك لن تندم .

قلت ، وأنا أصحبه إلى مكثى :

— والآن دعنا نر أولاً ماتمليه علينا متطلبات العمل .. هذا

هو المهم .

\*\*\*

— فى المساء ، كان المكان يمتلئ ضجيجاً حولنا . ما بين

الرقص والموسيقى الصاخبة ، والفقرات المتنوعة المختلفة ،

التي يعرضها الملهى الليلي . الذى أخذنى إليه ( مذكور ) ،

وكان من الواضح أن ( مذكور ) يتفاعل تماماً مع هذا الجو

\* \* \* \* \* ٤٥ \* \* \* \* \*

\* \* \* \* \* ٤٤ \* \* \* \* \*

المحيط بنا ، في حين كنت أنا منصرفاً كلية عما يدور أمامي  
وحولى ، ولا ريب أن (مذكور) قد لاحظ ذلك ، فالتفت إليّ  
قائلاً :

— (خالد) ... ما الذى يشغلك ؟ هل يكون المرء محاطاً  
بجو كهذا ، ويشرد على هذا النحو ؟

نظرت إليه دون أن أنطق بكلمة ؛ فقد كنت شارداً  
بالفعل ، إذ لم تبرح تلك المرأة تفكيرى ، منذ أن رأيتها هذا  
الصباح ، وعاد مذكور يقول ، بعد أن صبّ فى جوفه بعض  
الشراب :

— يبدو أن سهرتى جاءت محيية للآمال .

قلت فجأة ، وأنا أقبض على ذراعهِ :

— (مذكور) .. أريد منك أن تعرف عنوان هذه  
السيدة .

نظر إليّ بدهشة ، قائلاً :

— أية سيدة ؟

قلت وقد تحلّصت من شرودى :

— التى رأيتها فى مكتبى هذا الصباح .. (وفاء) .. (وفاء  
صبرى) .

تطلع إليّ بامتعاض ، قائلاً :

— أما زلت تفكر فيها ؟ .. لست أنكر أنها بارعة الجمال ،  
ولكن .. قاطعته بخشونة :

— (مذكور) .. فلأخذ الأمر بمجدية ... إننى أريد عنوان  
هذه السيدة .

— ولكن كيف يمكننى العثور عليه ؟ ألدريك أية معلومات  
عنها ؟

— لا أعرف سوى أنها تمتلك مصنفاً صغيراً للتطريز .

— وهل تسمى هذه معلومات ؟ .. فى البلد منات  
المصانع ، التى تعمل فى التطريز ، فكيف تريد منى أن أعثر  
عليها ؟

— تصرف .. المهم أن تعرف عنوانها بأية صورة ؟  
قال ساخراً :

— قل لى : هل تريد أن تبيع لها المزرعة ، التى اشتريناها  
منها ، مرة أخرى ، أم تنوى أن تبرع لها بها ؟

وقفت فجأة ، وقد شعرت بضيق من المكان ، قائلاً :

— أريد أن أنصرف من هنا .  
نظر إليّ بدهشة ، قائلاً :

— تصرف ؟ ! ولكن السهرة لم تبدأ بعد ، ما تزال هناك  
العديد من الفقرات ، و....

أزحت المقعد الذي كنت أجلس عليه جانبا ، وأنا أقول في حزم :

— يمكنك أن تبقى لو أردت

ولكنه غادر مقعده . قائلا :

— وما الفائدة؟ لقد جئت إلى هنا من أجلك ، ولكن يبدو

أن تلك المرأة تستحوذ على تفكيرك تماما

وكان على حق ..

\*\*\*

كانت تهم بمغادرة مصنعها الصغير ، المكوّن من حجرتين ضيقتين . تحويان ثلاث أو أربع آلات للتطريز ، ووقفت تنادي سيارة أجرة . عندما غادرت سيارتي على الرصيف المقابل ، لأقرب منها قائلا :

— أتسمحين لي بتوصيلك؟

نظرت إليّ بدهشة ، قائلة :

— أستاذ (خالد)؟! ما الذي جاء بك إلى هنا؟

ابتسمت قائلا :

— لقد حضرت خصيصا لمقابلتك

تطلعت إليّ . وأطلت من عينيها نظرة أمل . قائلة :

— لعلك وافقت على بيع المزرعة أو المنزل .

قلت لها :

— هل يمكننا أن نذهب إلى أحد الأماكن العامة ؛

لتحدث في هذا الأمر؟

قالت وفي عينيها فرحة حقيقية ، بعد أن تجدد لديها الأمل :

— بالطبع .

قلت لها :

— حسنا .. سيارتي تقف إلى جوار الرصيف المقابل ..

يمكننا أن نذهب إلى أقرب (كازينو) ؛ لتحدث معا .

تقدمتني بخطوات سريعة ، بدت متلهفة للوصول إلى ذلك

المكان ، لتعرف ما استقرّ عليه رأيي بهذا الشأن ، وفي

(الكازينو) المطلّ على البحر ، جلست أمامها حول إحدى

الموائد ، وتفحصت عينيها الجميلتين بلونهما الأزرق الصافي ،

في أثناء انشغالها بوضع حقيبتها في المقعد المجاور ، كما بدا شعرها

الذهبي ، الذي يسدل بنعومة وانسابية فوق كتفها ، يثير في

نفسى إحساسا قويا بالرغبة في تمرير أصابعي فوقه ، والشعور

بلمسه .. كان من الواضح أن القصة ، التي روتها لي هذه

المرأة ، لم تكن وحدها الدافع لإهتمامي بها ، بل كان يدفعني إلى



ذلك أيضاً إعجابى الشديد بها .. هذا الإعجاب الذى لم يكن منحصرًا فيما خلقها الله عليه من جمال فقط ، ولكن فى كل إيماء من إيماءاتها .. فى أسلوب حديثها .. طريقتها فى الجلوس ، وفى الحركة .. وكان يجب على أن أسلم أنى صرت مأخوذاً بهذه المرأة ، منذ اللحظة الأولى التى وقعت فيها عيناى عليها ..

وتطلعت إلى ، دون أن تنتبه إلى نظرات الإعجاب ، التى تطل من عينيَّ قائلة :

— فى الواقع .. لقد فكرت قليلاً ، فى أثناء حضورنا إلى هذا المكان ، ووجدت أنى لن أستطيع أن أدفع لك ثمن المزرعة بالكامل ؛ لذا سأكفى بشراء المنزل فقط ، إذا وافقت على ذلك ، فإمكانياتى المادية الحالية لا تسمح بغير ذلك .  
قلت لها :

— مدام وفاء .. لقد فكرت كثيرًا فى رغبتك فى شراء المزرعة والمنزل ، كما أنى أقدر دوافعك لاسترداد هذا المكان العزيز على نفسك ، ولكن أنا أيضاً لدى دوافعى ، للاحتفاظ بذلك المكان .

وصمت قليلاً ، وأنا أرى تلك النظرة التى كاد يتسرّب

\* \* \* \* \* ٥٠ \* \* \* \* \*

إليها اليأس فى عينيها ، لأقول مستطرذا :

— ولكن .. ما رأيك لو جعلتك شريكى فى هذه المزرعة؟

حدقت فى وجهى قائلة :

— شريكك؟!

رددت عليها ، قائلاً :

— نعم .. لقد أقمت فى هذه المزرعة فترة طويلة من عمرك ، ولديك خبرة كبيرة فى إدارتها ، سواء وأنت تعملين إلى جوار زوجك أو بمفردك ، وأنا بحاجة لهذه الخبرة ؛ لذا يمكننى أن أتخلى لك عن المنزل لتقيمى فيه ، وتتولى فى ذات الوقت الإشراف على شئون المزرعة ، بالنيابة عنى ، على أن تكونى شريكى بنسبة معينة فى الربح ، الذى سيدره علينا المحصول ، المصدر من المزرعة .. أعتقد أن هذا الحل يناسبك ، خاصة وأنتك ستقيمين فى نفس المنزل ، الذى عشت فيه من قبل ، وتودين نفس العمل الذى كنت تمارسينه ..  
أليس كذلك؟

صمتت قليلاً ، ثم قالت :

— نعم .. أوافق على ذلك ، ولكن ما الذى تطلبه منى ،

مقابل أن أكون شريكك؟

\* \* \* \* \* ٥١ \* \* \* \* \*

نظرت إليها قائلاً :

— ليس مطلوباً منك سوى ما قلته لك ، وهو الإشراف  
على إدارة المزرعة ، والعناية بمحصولها .

قالت لي :

— هذا يعدّ كرمًا منك ، ولكنه لا يكفي لكي أكون  
شريكتك في مزرعة كهذه .. إنك تسعى لتحقيق رغبتى  
بطريقة كريهة .

قلت معاتبًا :

— ما هذا الذى تقولينه ؟ إنك ستبدلين جهدا كبيرا ، فى  
مقابل إشرافك على شئون هذه المزرعة ، وستحققين لى الكثير  
من الفائدة .

ولكنها أصرت على ما قفها ، قائلة :

— ولكنى ما زلت أرى أن هذا لا يوازى أن أكون شريكة  
لك ، فى هذه المزرعة .

قلت لها :

— وما الذى تقترحينه إذن ؟

أجابتنى قائلة :

— لن أكون بحاجة إلى مصنع التطريز الصغير الذى أملكه .

بعد حضورى إلى هذا المكان ، لذا فسأقوم ببيعه ، وأدفع ثمنه  
مقابل مشاركتى لك فى أرباح المزرعة .  
ابتسمت لها قائلاً :

— حسناً .. إذا كان هذا يرضيك .. والآن ماذا تشرين ؟  
وتلفت حولى ، باحثًا عن الساق ، ولكننى تحولت إليها  
بوجهى فجأة ، بعد أن شعرت بلمس يدها ليدى ..  
كانت قد وضعت راحتها فوق يدى الممدودة فوق المائدة ،  
وفى عينيها نظرة امتنان ، وهى تقول :

— تأكد أتنى لن أنسى لك هذا أبدًا .

ولم أدر ، فى هذه اللحظة ، ماذا أقول ؟ لقد توقفت على  
عن التفكير ، ولم أعد أفكر فى استدعاء الساق أو البحث  
عنه .. لم أعد أشعر سوى بتلك اليد البضة الناعمة ، وهى  
موضوعة فوق يدى ، وفى تلك العينين الجميلتين ، وقد  
اجتذبتانى إلى أغوارهما ..  
أغوارهما السحيقة .

\*\*\*

## ٥ - رهان على الحب ..

فتحت لها باب الفيلا ، وأنا أدعوها إلى الدخول قائلاً :  
— ها هو ذا منزل كما تركته .. لم أحاول أن أضيف إليه  
أية أشياء جديدة ، عدا بعض الأشياء الصغيرة ، التي لا أعتقد  
أنها غيرت شيئاً من معالم (الفيلا) ، وهي منذ الآن تحت  
أمرك .

اندفعت (وفاء) داخل الفيلا ، وهي تتأمل الجدران  
والغرف ، وفي عينيها نظرة أسمى لقد بدأت تستعيد ذكرياتها مع  
المكان ، وذكريات ابنتها الراحلة ، ووجدتها تدفع كالمجنونة  
لتفتح أبواب الغرف ، حتى استقرت داخل إحداها ،  
وأثبتت أظفارها في الجدران ، وهي تتخرط في بكاء حار ..  
وأحسست بتعاطف شديد مع أحزانها ، فقد جرّبت هذا  
الشعور من قبل .. لقد عشت من قبل إحساس الأب الملتاع  
بفقدته لابنته ، وأعرف مدى قسوته على النفس ؛ لذا لم أحاول  
أن أحول بينها وبين التصريح عن حزنها الجليل ، بذلك

البكاء الحار ، وفضلت أن أنتظر حتى تهدأ نفسها قليلاً ، ثم  
اقتربت منها قائلاً :

— مدام (وفاء) .. إننى أحترم حزنك ولوعتك على  
ابنتك ، فأنا مثلك فقدت ابنتى وزوجى ، اللتين ماتتا غرقاً ..  
وربما هذا هو السر في عدم إضافتى أية أشياء جديدة ، أو أثاث  
حديث ، للمنزل الذى اشتريته منك ، فأنا لم أحضر إلى هذا  
المنزل إلا مرة واحدة ، أو مرتين على الأكثر . وبعدها توقفت  
عن الحضور إلى هنا ، كما توقفت عن ممارسة العمل ، وعن  
أشياء أخرى كثيرة ، إذ أننى فجعنت بفقدى لابنتى وزوجى ،  
بعد شهور قليلة من شراى للمزرعة والمنزل ، وتمنيت بعدها أن  
الحق بهما بوسيلة أو أخرى ، وكانت وسيلتى التى حاولت أن  
استخدمها في ذلك الوقت ، هى الانتحار البطيء ، والغرق في  
الحزن ، والتوقف عن متابعة الرغبة في الحياة ، ولكن الحياة  
لا يمكن أن تتوقف ، والحزن لا يد له من نهاية ، ولا يد من  
الرضوخ لمشيئة القدر ومواصلة طريقنا من جديد .. هذا هو  
دستور الحياة ، الذى وضعه لنا الخالق ، لذا لا بد من أن تنفضى  
ثوب الحزن عنك ، ولا تجعلى من عودتك إلى هذا المكان تجديدًا  
لذكرى أليمة ، فلا أعتقد أن هذا هو ما أرادته لك ابنتك

الراحلة ، فهذا المكان ظل يرتبط في مخيلتها بذكرى أيام سعيدة ، وأرادت منك أن تعودى إليه ، لكى لا تخرمى من هذه السعادة ، التى عرفتها فى ذلك المكان ، والتفتت إليه قائلة من خلال دموعها :

— وكيف أمكنك أن تنسى ؟ .. لو كنت حقيقة قد عشت ذلك الشعور ، الذى أحسنه منذ فقدت ابنتى ، وعرفت لوعة الفراق ، لما أمكنك النسيان ، وقلت لها بصوت خفيض :

— ومن قال لك إننى نسيت ؟ إن ابنتى وزوجتى سيبقيان فى عقلى وقلبى دائماً ، ولن يمكثنى نسيانهما أبداً ، ولكن ما أتحدث عنه هو نسيان المحنة ، والتغلب على الأحزان ، وعدم الإغراق فى الذكرى التى تجدد الآمنا ، ومع ذلك فلا أستطيع أن أقول لك أبنتى قد نجت فى ذلك تماماً .

أولتتى ظهرها ، دون أن تنطق بكلمة ، كان من الواضح أنها غير مستعدة للإنتصاات إلى ، وأن المكان قد جدد لها ذكرى فراقها لابنتها ، حاملاً معه الجانب المؤلم من هذه الذكرى ، وكان من المتعين على أن أنصرف فى هذه اللحظة ، فقلت لها :  
— سأنصرف الآن ، ثم تعود لتتفق على شئون العمل فيما بعد .

ولكنها لحقت بى ، وفى عينيها نظرة خوف كبيرة ، قائلة :  
— لا .. لا أستطيع أن أبقى وحدى فى هذا المكان .. لقد أصبح المنزل موحشاً للغاية ، وحزنى سيقطنى لو بقيت بمفردى أجزر الذكريات .

ابتسمت لها ابتسامة مشجعة قائلاً :

— هل رأيت ؟ هأتذى تخافين أحزانك وتكرهينها ، وهذا يعنى أنك تريدان أن تتحررى منها ، وهذا أمر مشجع .  
قالت لى :

— لقد كانت تعمل لدى هنا امرأة تدعى ..

قاطعتها قائلاً :

— (أم إبراهيم) .. لقد ألققتها بالعمل فى جنى محصول الفراولة ، بعد شراء المنزل ؛ نظراً لعدم حاجتى إليها للعمل فى ذلك المنزل ، بعد أن توقفت عن الحضور إليه .. أنت بحاجة إليها ؛ لكى تؤنس وحدتك فى هذا المنزل ؟  
أومأت برأسها لتؤكد ذلك . فقلت :

— حسناً .. ستكون معك هذه الليلة ، وسوف أدبر الأمر بحيث تتوقف عن العمل فى المزرعة ، وتعود للعمل فى هذا المنزل .

وقبل أن أفتح باب المنزل استعدادًا للانصراف ، وجدتها تتعلق بذراعى كطفلة خائفة ، فقلت لها مطمئنا :  
— اطمئنى .. لن أغادر البلدة قبل أن أحضر لك (أم إبراهيم) .

أبعدت يدها عن ذراعى ، كما لو كانت قد تنهت إلى أنها أنت بتصرف غير لائق ، قائلة :  
— أردت فقط أن أشكرك ؛ فقد قدمت لى الكثير من المساعدة ، وكنت عطوفًا معى للغاية .

ابتسمت قائلاً ، وأنا أفتح باب الفيلا :  
— هل يمكننى أن أطالب بشيء فى مقابل هذا؟

نظرت لى بتوجس ، وهى تتراجع خطواتين إلى الوراء ، قائلة وفى شهجتها شيء من الحذر :  
— بالطبع .. لو كان باستطاعتى .

قلت لها وأنا أحتفظ بابتسامتى :  
— أعتقد أن ذلك الشئ فى استطاعتك .

قالت متسائلة :

— وما هو؟

— دعينى أر ابتسامتك قبل أن أنصرف .

طلت صامته تحدق فى ، فقلت لها مشجعًا :

— هيا .. دعينا نرسم ابتسامه على وجوهنا ، لنحارب بها أحزاننا .

بدا أنها تبذل جهدًا كبيرًا ، حتى انصهر ثغرها عن تلك الابتسامه ، التى شيعتنى بها قبل رحيلى ، وكانت أجمل ابتسامه رأيتها فى حياتى كلها ..

\*\*\*

دخلت إلى مكتبى ووجهى يحمل ابتسامه كبيره ، وأخذت أتبادل التحيات مع الموظفين العاملين فى شركتى ، وأداعب سكرتيرتى ببعض العبارات المرحه ، والوجوه تحدق فى بدشهة ؛ فهم لم يرونى أبدًا يمثل هذه الحاله المعنويه المرتفعه ، منذ شهور طويله .. ونزعت عنى سترقى ؛ لأعلقها على المشجب الموجود داخل غرفتى ، وأنا أترنم بأغنيه مرحه ، دون أن أنتبه إلى أن (مذكور) كان جالسًا داخل الغرفه ، على المقعد الكبير فى أحد الأركان ، وما أن نحته ، وأنا أهمم بالجلوس أمام مكتبى ، حتى قلت له :

— (مذكور) !؟ أنت هنا؟

قال وهو يغادر مقعده :

— إننى أنتظرِكَ منذ نصف ساعة .. لقد تأخرت عن موعدك اليوم .

ابتسمت له ، وأنا أتخذ مجلسى قائلاً :

— معذرة يا صديقى العزيز .. لقد صحوت متأخراً .  
قال ساخطاً :

— هل نسيت أننا لا بد أن نكون فى الجمرك فى العاشرة ؟  
قلت وأنا أسترخى فى مقعدى :

— اذهب أنت .. لن أستطيع الذهاب معك اليوم .  
نظر إلىّ بتعجب قائلاً :

— (خالد) .. لقد اتفقنا على الذهاب معاً .. هناك بعض التوقيعات تحتاج لوجودك .  
رددت عليه قائلاً :

— وما فائدة التوكيل الذى فتحته لك ؟ .. تصرف يا (مذكور) .. أهذه أول مرة تصرف فيها بمفردك ؟  
قال ، وقد بدا له تصرفى غريباً :

— لا .. ولكن فى المرات السابقة كانت توجد أعمال أهم ، تقتضى وجودك فى أماكن أخرى . أو فى المكتب ؛ لأن تصدير البضائع واستيرادها يحتاج بالضرورة لوجودك فى

المنطقة الجمركية ؛ للإشراف على الأمر بنفسك .  
قلت بلهجة مرحة :

— ومن قال إنه لا توجد لدى أعمال أهم ، تقتضى تواجدى هنا ؟ ثم لا تبلغ فى الإقلال من شأنك .. إنك تجيد تصريف تلك الأمور ، على نحو أفضل منى .  
نظر إلىّ متشككاً ، وهو يقول :

— ثرى ما هى تلك الأعمال الأهم ، التى تقتضى بقاءك هنا ؟ هل نسيت أنى ملّم تماماً بنشاط الشركة وأعمالها ؟  
قلت متظاهراً بالصيق :

— (مذكور) .. لقد أصبحت ثقيلًا على نحو غير محتمل ، بتساؤلاتك السخيفة هذه .. هل نسيت أنى بصدد إعداد ميزانية جديدة ، لتكلفة الإنتاج الخاصة بمزرعة (قليوب) ؟  
هز رأسه ، قائلاً بحجث :

— آه .. فهمت .. وطبعًا إعداد هذه الميزانية الجديدة يقتضى أن تلتقى بشريكك فى إدارة شئون المزرعة .  
قلت وأنا أسعى متجنبًا نظراته الخبيثة ، بالتطلع إلى الأوراق الموضوعه أمامى :

— بالطبع .. ألسنا شريكين ؟

قال متهمًا :

— لا اعتقد أنك كنت بحاجة ، في أى وقت من الأوقات ،  
لوجود شريك معك ، خاصة بالنسبة لمزرعة صغيرة كهذه .  
قلت له :

— لقد قدمت لتلك السيدة مساعدة ، كانت بحاجة إليها ،  
دون أن أغفل الجانب الاقتصادى ، فخيرتها السابقة في  
تصريف شؤون تلك المزرعة ، بالإضافة إلى إحساسها  
بالمسئولية ، والرغبة فى الربح ، باعتبارها شريكة ، سيعود  
علينا جميعًا بفائدة شاملة .

قال وهو مستمر فى تهكمه :

ولا أعتقد أن هذا هو أيضًا الدافع الرئيسى لقبول هذه  
المشاركة .

قلت ، وفى صوتى رنة غضب :

— ما السبب الذى تعتقده إذن يا (شرلسوك هولمز)

العصر؟

ردًا قائلًا :

— السبب الذى يجعلك تبدو بمثل هذه الحالة المعنوية  
المرتفعة ، والذى جعلك تأتى إلى المكتب متأخرًا عن موعدك ،  
وأنت تترنم بإحدى الأغنيات .

قلت له :

— ماذا تقصد؟

أجابنى قائلًا :

— أفصد أن تغير حالك لم يعد خافيًا على أحد ، وأنه يبدو

أنك فى طريقك إلى الحب يا صديقى .

قلت ، وكأننى أحاول دفع تهمة عنى :

— استنتاجك فاشل تمامًا يا عزيزى ، ومرأقتك المتأخرة

تصوّر لك أشياء خيالية ، فتقدم بعض المساعدة للآخرين ،

دون الإخلال بالعائد الاقتصادى ، لا يعنى ذلك الهراء الذى

تتحدث عنه ، كما أنه لا يوجد ما يمنع من أن أكون فى حالة

معنوية مرتفعة .. والآن عليك أن تسرع بالذهاب إلى الميناء ،

للانتفاء من شحن البضائع ، فأنا أعتقد أن هذا سيكون أفضل

بكثير من التحدث عن هذه السخافات .

قال وهو يهيم بفتح باب الحجره :

— حسنًا يا صديقى .. ولكن إذا وافقت ، فأنا مستعد

للمرافعة على أنك فى طريقك إلى الوقوع فى الحب ، مع ذات

العينين الزرقاوين ثم أسرع بمغادرة الغرفة قبل أن أنطق بكلمة

واحدة :

\*\*\*

قالت وفي صورتها شيء من عدم الاقتناع :

— وهذا أيضًا يحيرني ؛ فما وجدته في المزرعة بعد عودتي إليها ، يجعلك بغير حاجة حقيقية إلي .. لقد ارتفعت نسبة الإنتاج بشكل كبير ، والمعالجة التي أضافها المهندسون الزراعيون لحصول القراولة ، جعلتها على درجة عالية من الجودة ، ولديك العمالة الكافية والفنيون المهرة .. لقد أصبحت حقًا مزرعة مخصصة للتصدير ، لالسوق الخلي ، كما كانت حينما كنت أمتلكها أنا وزوجي ، وهي تعمل بكفاءة عالية للغاية ، وفقًا لميزانية تتعلق بالتصدير ، بما يتطلبه ذلك من مصاريف شحن وتعبئة .. إلخ .. لذا فلم تكن لك في حاجة لإعداد ميزانية المزرعة ، وإدارتها التي عهدت بها إلي .

قلت محاولاً إبعاد هذا الشعور عنها :

— لماذا تحاولين الإقلال من شأن نفسك ؟ إن هذه المزرعة بحاجة إلى شخص يحبها أكثر من أي شيء آخر .. شخص يشعر أنها ذات صلة قوية ورابطة متينة به ، لكي يخاف عليها ، ويرى شئونها على النحو الواجب .. لقد تغيرت المزرعة حقًا عن تلك الفترة ، التي كنت تمتلكينها فيها ، ولكنني أعتقد أنها لا تدار بالكفاءة المطلوبة ، ولا تحقق الربح الذي أطمح إليه ، وأعتقد

## ٦ — شعور لا أفهمه ..

قالت وهي تضع أمامي على المكتب عددًا من الأوراق . — هذه هي الميزانية المطلوبة ؛ للصرف على المزرعة ، وهي تشمل الأسمدة والعمالة وبعض البيانات الأخرى ، التي يتعين عليك مراجعتها .

قلت لها ، وأنا أتأمل ملامح وجهها الجميلة :

— لقد كنت صاحبة هذه المزرعة من قبل ، ولا شك أنك على دراية تامة بما تحتاجه ، حتى يكون إنتاجها صالحًا للتصدير ؛ لذا فلا أظن أنني بحاجة إلى إجراء أية مراجعة .

نظرت إليّ بدهشة ، قائلة :

— أنا الذي يحيرني طلبك لي بإعداد ميزانية لإنتاج المزرعة ، فأنا الآن لم أعد مالكة لهذه المزرعة ، وإنما مجرد شريكة بنسبة ضئيلة من الأرباح .

قلت سريعًا :

— والمستولة عنها ، والمشرقة على إدارتها أيضًا .



أنت أفضل من يحقق لي ذلك الطموح ، خاصة وأنت ستتاين  
نصيبك منه .

نظرت إلى بتمعن برهة من الوقت ، ثم قالت :

— هل أنت واثق ، أن هذا هو السبب الوحيد؟ ألم يكن  
لقصتي دخل في الأمر؟ أعنى أليس دافعك لهذا هو الشعور  
بالشفقة؟

ابتسمت قائلاً :

— لا أنكر أنني تعاطفت مع قصتك ، وأنت تعرفين لماذا ،  
ولكن تأكدي أن هذا لم يكن الدافع الوحيد لإشراكك في أمر  
هذه المزرعة .

سمعت فجأة أزيز آلة الاتصال الداخلي فوق مكبتي ،  
فضغطت على الزر الموضوع أمامي ، قائلاً :

— أهنك شيء يا (سعاد)؟

قالت لي :

— أردت أن أذكر سيادتك بالاتصال هاتفياً بـ (مدحت)  
بك ، حسب الموعد المحدد ، فالساعة الآن العاشرة  
والنصف .

— حسناً .. حسناً .. سوف أتصل به .

عادت تقول :

— ولديك موعد مع رئيس شركة التجارة الدولية ، في  
الحادية عشرة .

قلت بضيق :

— حسناً .. إنني أذكر هذا جيداً .

وجدتها تتأهب للانصراف ، قائلة :

— معذرة .. يبدو أنني عطلتك عن أعمالك .

قلت وأنا أنفي ذلك ، وقد شعرت بغصة ؛ لتأهبها  
للانصراف بهذه السرعة .

— أبداً .. أبداً .. مازال لدي متسع من الوقت ..

أرجوك تفضلي بالجلوس .

قالت وهي تنظر إلي باستغراب ، قبل أن تعود للجلوس :

— ولكنني أعتقد أننا قد انتهينا من تقديم ميزانية المزرعة كما  
طلبتها .

قلت بسرعة ، وأنا أقلب الأوراق الموضوعه أمامي :

— ولكننا لم تنته من مراجعتها بعد .

ردت قائلة :

— لقد ظننت أن سيادتك قلت : إن الأمر ليس بحاجة إلى

مراجعة .

شعرت بالخرج من قولها هذا؛ فقلت :

— نعم .. نعم .. ولكنني لم أعتدها بعد ، حتى يتاح  
الحصول على المصاريف اللازمة .

مطت شفيتها قائلة :

— حسناً .. يمكنني أن أنتظر ، حتى تنتهي من اعتمادها لو  
أردت .

أخذت أقلب الأوراق سريعاً ، دون أن أقرأ كلمة  
واحدة ، أو رقماً واحداً من السطور فيها .. كنت مرتبكاً  
حقيقة ، على نحو لم أعهده في نفسي من قبل ، كما لو كنت مقبلاً  
على امتحان عسير ، وفجأة رفعت عيني عن الأوراق  
الموضوعة أمامي ، قائلاً :

— (وفاء) .. هل تقبلين دعوتي لك على الغداء؟

خدجتني بنظرة غريبة ، وبداء على وجهها الضيق والانفعال  
المكبوت لحظة ، ثم تبدلت ملامح وجهها ، وأصبحت أقل  
انفعالاً وهي تقول :

— أشكرك .. ولكنني لا أعتقد أنني أستطيع قبول مثل  
هذه الدعوة .

قلت لها :

— لماذا؟ لا أعتقد أنك مرتبطة بشيء ، خلال فترة  
الغداء .

أجابتنى بوجه جامد الملامح :

— أستاذ (خالد) .. لا تغير فكري عنك .

قلت متسائلاً :

— وما الذي ظننته في؟

نهضت واقفة مرة أخرى ، وهي تقول :

— لاشيء ، ولكنني أفضل أن تبقى علاقتنا قائمة على  
مقتضيات العمل فقط ، دون توجيه مثل هذه الدعوات .  
نهضت بدوري ، وأنا أدور حول مكنتي في حرج ،  
لأقول :

— ولكنني لم أكن أقصد شيئاً بدعوتي هذه ، مما يدور في  
ذهنك .

قالت بعصبية :

— إذا كنت تظن أنه يمكنك ، في مقابل تلك الخدمة ، التي  
قدمتها لي ، أن تدعوني مرة إلى (كافيتريا) ، ومرة أخرى إلى  
مطعم ، ثم مرة ثالثة إلى سينيما ، فأنت محطىء .. لقد قبلت أن  
أصحبك في المرة السابقة إلى تلك (الكافيتريا) ؛ لأنك  
وعدتني بمناقشة أمر المزرعة والمنزل فقط .

قلت وفي صوتي رنة عتاب :

— يؤسفنى أن يكون هذا هو ظنك فى . وتحركت  
خطوتين فى اتجاه الباب ، ثم ترددت ، وعادت مرة أخرى إلى  
حيث أقف ، قائلة :

— أعتذر عما قلته .. يبدو أنى إنسانة سيئة الظن فعلاً ..  
ولكن اعذرنى ، فقد رأيتك تتوَدَّد إلى بشكل لم أعهده فى  
أشخاص حسنى النية من قبل .. ذلك المنزل ، ومشاركك فى  
المزرعة ، واهتمامك بى ، ودعوتك لى لتناول الغذاء معك ..  
لقد ظننت أن ذلك من باب العطف أولاً ، ثم الآن ، عندما  
وجهت إلى تلك الدعوة ، ظننت أن توَدَّدك هذا قد ينطوى  
على معنى آخر .

نظرت فى عينيها ، قائلاً :

— لا يمكنك أن تظلى متشككة إزاء كل تصرف ، وكل  
دعوة توجه لك على هذا النحو .

رأيت فى عينيها نظرة تأثر ، وهى تقول :

— أعذرنى ؛ فقد قابلت بعد موت زوجى الكثيرين ممن  
يطمعون فى أرملة وحيدة ثرية .. كانوا يتوَدَّدون ، وينتقون  
الكلمات ، ويوجهون الدعوات على هذا النحو ، من أجل  
تحقيق أهدافهم الدنيئة .

\* \* \* \* \* ٧٠ \* \* \* \* \*

قلت ، وقد أسعدنى أن تتحدث معى بهذه الثقة وذلك  
التبسيط :

— ألم يكن بعضهم يهدف إلى الزواج ؟

قالت ، كما لو كان سؤالى قد أدهشها أو أخرجها :  
— بالطبع .

هززت أكتافى قائلاً :

— ومتى كان الزواج هدفاً دينياً ؟

قالت سريعاً ، دون أن تخطئ الإجابة :

— عندما لا يدخله الحب ، ويكون أساسه المال ، أو  
الاستيلاء على الثروة الصغيرة التى تركها زوجى لابنته .

قلت ، وقد استرددت بعض الثقة فى نفسى ، بعد أن  
أخرجتنى برفضها :

— لا أعتقد أنك تظنين أنى ممن يطمعون فى مالك ، خاصة  
وأن لديك فكرة واضحة عنى .

أجابتنى ، وعلى وجهها حمرة خجل :

— أطماع الرجال لا تقتصر على المال فقط .

قلت لها معاتباً :

— هانتذى تسيئين الظن فى مرة أخرى ؛

\* \* \* \* \* ٧١ \* \* \* \* \*

هزّت رأسها ، قائلة :

— لست أقصدك أنت ، ولكنني أتحدث عن الآخرين .  
قلت لها :

— إذن فما المشكلة في أن أوجّه دعوة لتناول الغذاء إلى شريكى ، خاصة بعد أن صرنا تقريباً صديقين .

وقفت صامتة ، دون أن تدري ماذا تقول ، وعاد أزيز آلة الاتصال الداخلى يتعالى فوق مكنتى ، فضغطت على الزر ، قائلاً بتبرم :

— ماذا أيضاً يا (سعاد)؟

أجابتنى سكرتيرتى :

— (مدحت) بك يريد الاتصال بك ، ويبدو أنه قلق ، لعدم اتصالك به ، بحسب الموعد المحدود .. هل أوصلك به؟  
صمتّ برهة ، وأنا أفكر ، ثم قلت :

— حسناً .. دعيني أحدثه .

قالت (وفاء) سريعاً :

— حسناً .. سأصرف أنا .

ولكننى استبقيتها بإشارة من يدي ، قائلاً :

— أرجوك .. انتظرى .

بقيت واقفة في مكانها ، وأنا ألتقط سماعة الهاتف ، قائلاً :

— نعم يا (مدحت) .. نعم .. لقد كلّفت (مدكور) تولى عملية الشحن .. آسف لتأخرى في الاتصال بك ، ولكن بعض الأعمال استغرقتنى لبعض الوقت .

كنت أحدثه وعيني مسلّطة عليها ، وكأننى أخشى أن تغيب عن نظرى ، أو أغفل عنها لحظة ، فأجدها قد تسلّلت مغادرة الحجره ، وعدت أقول لمحدثى ، دون تركيز حقيقى :

— حسناً .. حسناً .. سأتصل بك فيما بعد ، للاتفاق على كل شيء ، فأنا الآن مشغول .

ووضعت سماعة الهاتف والتفت إليها قائلاً :

— إنك لم تجيبى سؤالى بعد .

سألتنى بدهشة :

— أى سؤال؟

قلت محاولاً اصطناع ابتسامه :

— ماهى المشكلة ، التى تحول دون دعوتك إلى الغذاء؟  
لا بد أنها قد لاحظت أننى كنت أحمّدق فيها طوال الوقت ، وأننى لم أرفع عيني عنها ، حتى فى أثناء الاتصال الهاتفى ، فتراجعت

إلى الوراء خطوتين ، وفي عينيها نظرة متشككة ، ثم قالت :  
— أستاذ (خالد) .. هل أسألك سؤالاً ، وتجيبنى عنه  
صراحة ؟

عقدت ذراعى أمام صدرى ، وأصبحت ابتسامتى حقيقية  
هذه المرة ، وأنا أقول :

— سلى ما شئت .

سألتى بعينين ثاقبتين :

— ما الذى تريده على وجه التحديد ؟

قلت وأنا أفك الارتباط بين ذراعى ، واضعاً إحدى يدي  
في جيبي :

— حسناً .. لقد أردت إجابة صريحة .. لقد شعرت بشيء  
من التعاطف معك ، بعد الذى رويته لى عن ابنتك ، وهذا  
حقيقى .. كما أننى سمعت لكى تكونى شريكى فى تلك  
اللزعة ، عن اقتناع تام بأننى سأستفيد من خبرتك فى إدارتها ،  
وهذا أيضاً حقيقى ، ولكن هناك شيئاً آخر لا أفهمه ، يجعلنى  
مشدوداً إليك ، ويشعرنى بأنه هناك نوعاً من التقارب يجمع  
بيننا .. إنك جميلة جداً بلا شك ، وهذا شيء له تأثيره على أى  
رجل ، ولكن صدقنى .. ليس الجمال وحده على الرغم من

\* \* \* \* \* ٧٤ \* \* \* \* \*

مؤثراته على نفسى ، هو الذى يجذبنى إليك على هذا النحو  
الذى لا أفهمه .. هناك شيء آخر أكثر تأثيراً ، يحول بينى وبين  
قدرتى على مقاومة شعورى هذا .

عاد إلى وجهها جهوده ، وهى تقول :

— هذا ما كنت أخشاه .

قلت سريعاً ، وبلهجة جادة :

— إذا كانت خشيتك هذه نابعة من تلك الظنون ، التى  
تظنيها فى الرجال ، الذين كانوا يحومون حولك ، فأنت  
مخطئة .. ما أردت قوله قلته بصراحة ووضوح شديدتين ، ولم  
أكن أهدف من ورائه إلى غرض آخر أخفيه فى نفسى .

وكأنما أغضبنى أن أرى تلك النظرة المشككة فى عينيها ،  
فقلت وأنا أحتفظ بלהجتى الجادة :

— والآن .. إذا لم تكن لديك أسئلة أخرى يمكنك  
الانصراف .

تحركت نحو الباب بخطوات متعاقبة ، ثم فتحته وهى تهم  
بالخروج ، ولكنها تراجعت إلى الداخل مرة أخرى ، وأنا  
أعاود الجلوس أمام مكبى ، ووقفت مترددة لحظة ، ثم  
قالت :

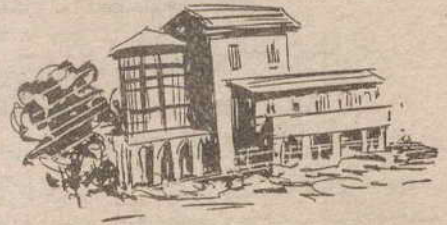
\* \* \* \* \* ٧٥ \* \* \* \* \*

— إننى أتناول غدائى فى الثالثة تماماً ، فهل يتأسبك هذا  
الموعد ؟

تغيرت ملامح وجهى الغاضبة ، وأنا أقول محاولاً مقاومة  
إبتسامه على شفتى :

— إنه نفس الموعد الذى أتناول فيه غدائى ؛ لذا فهو  
يناسبنى تماماً .  
ولم يصف أحدنا حرفاً آخر .

\*\*\*



## ٧ — لمسة حب ..

كنت قد اتفقت معها على أن نلتقى عند ناصية أحد  
الشوارع الرئيسية ، حيث أخبرتنى بأنها ستذهب لشراء بعض  
الأشياء من المدينة ، ثم نلتقى فى الثانية والنصف ، لتتوجه إلى  
ذلك المطعم ، الذى رشحته لتناول الغذاء معاً ، وعندما  
وصلت بسيارتى ، إلى تلك الناصية ، لم تكن موجودة فى الموعد  
المحدد ، مما اضطررت إلى أن أدور بالسيارة حول المكان ، حتى  
لا أتعرض للمخالفة ، نظراً لعدم السماح بوقوف السيارات ،  
فى ذلك الشارع الرئيسى ، وبعد مرور عشر دقائق ، وعدة  
دورات للسيارة ، رأيتها مقبلة ، وهى تخطو خطوات بطيئة ،  
فى اتجاه الناصية التى حددتها لها ..

كنت قد بدأت أقلق ، وإن كنت لا أدرى إذا ما كان مبعث  
قلقى هذا هو تأخرها ، أم حضورها المتوقع ، فعندما استقلت  
سيارتى ، إثر انتهائى من عملى فى الشركة ، أحسست وأنا فى  
الطريق إليها بشيء من عدم الارتياح ..

\* \* \* \* \* ٧٧ \* \* \* \* \*

\* \* \* \* \* ٧٦ \* \* \* \* \*

لقد بدوت متلهفًا على توجيه تلك الدعوة لتناول الغداء  
معا ، حينما رأيتها في مكثي هذا الصباح على الرغم من أنني لم  
أحطط لذلك ، وأسعدني أنني نجحت في الفوز بموافقها ، مع  
كل ما كانت تبديه من تحفظات وممانعة ، وبدا الأمر بالنسبة لي  
كما لو كان بداية لنصر عاطفي ، على مشاعر صلبة لامرأة  
شديدة المراس ، ولكن حينما فكرت في الأمر قليلاً ، أحسست  
أنني أدفع بنفسى رويدا .. رويدا نحو مشاعر مبهمه ، لا أعرف  
إلى أين تقودني ، وإن تصوير الأمر على أنه انتصار عاطفي ، هو  
نوع من إرضاء لغرور الرجل في أعماقي ، فالحقيقة هي أنني  
عاجز عن مقاومة الانزلاق في ذلك الطريق المجهول ، الذي  
يقودني إلى تلك المرأة .. إنني لم أجرب الحب في حياتي ، حتى  
في سنوات المراهقة .. كانت هناك بعض العلاقات العابرة ،  
التي يسمونها في شبابي ، ولكنها لم ترق أبداً إلى تلك العاطفة ،  
التي يسمونها الحب .. وكانت هناك أيضاً زيجة ناجحة ، ربما  
حملت في طياتها شيئاً من هذه العاطفة ، ولكنها لم تنطو أيضاً على  
الحب بمعناه الشامل ، وباندفاعاته الجامحة .. لقد كنت أخشى  
دائمًا أن أقع في أسر تلك العاطفة ، التي طالما سمعت عما يمكن  
أن تفعله بمن ينزلقون إلى شباكها .. إن المرء يفقد الكثير من

اتزانه ، وسيطرته على نفسه ، وعلى سلامة تفكيره ، وذلك  
هو الشيء الذي لا أرضاه لنفسى أبداً .. إن أفعالي ظلت تخضع  
دائمًا لما يميله على عقلي ، وعقلي كان يقودني دائماً إلى  
النجاح ، وإلى الطريق الصحيح ، فضلاً عما تفعله عذابات  
الحب بأصحابها ، خاصة عندما تكون العواطف غير  
متكافئة .. لوعة ، وحزناً ، وألمًا .. إنني لم أكن بارد  
الإحساس بطبيعتي ، على الرغم من عقلانيتي ، ولقد جربته  
المعاناة والألم ، كما لم يعرفهما أحد ، بل وتغيت الموت في بعض  
الأوقات ، حينما حرمني القدر من ابنتي وزوجتي .. ولكن  
هذا هو الألم الوحيد ، الذي يستحق أن يعيشه الإنسان ، وهذا  
هو الحزن الذي يمكن أن يكون له ما يبرره ، في حياة المرء  
منا .. فقد الزوجة والأبناء .. أن يجد المرء نفسه فجأة وقد  
ضاعت منه أسرته ، وأصبح وحيداً في هذه الدنيا ، بعد أن كان  
يعمل ويكد ويسعد من أجلهم ، أما عذاب الحب ، فهو  
عذاب تافه ، تدفعنا إليه مشاعر صيبانية ، تضعف من صلابة  
الرجل ، ولا تستحق منه سوى أن ينجل من نفسه ، ومع ذلك  
فقد كان شعوري المبهم هذا بعدم الارتياح ، والذي قادني إلى  
كل تلك الأفكار الغريبة ، متساوياً تماماً مع رغبتني في رؤيتها ،

ووجدتها تحتل النظر إلى بدورها ، دون أن يفارقها ذلك  
الخوف المطل من عينيها ، ولكن ما أن التفت إليها ، حتى تسرع  
بالنظر إلى الطريق محاولة إخفاء نظراتها عني .

وقلت لها ، دون أن أنظر إليها :

— آسف لأنسى تحدثت إليك بهذه الخشونة ، ولكن  
ضايقني كثيرا ، أن أشعر بأنني قد فرضت نفسي عليك ،  
فلست مضطرة لمشاركة الغذاء ، إذا لم تكوني راغبة في  
ذلك .

جاء ردها مثيرا لانفعالي ؛ إذ وجدتها تقول :

— حسنا .. يمكنك أن تنزلي هنا .

أوقفت السيارة بعصية ، وأحدث إيقافها صريحا عاليا ،  
وأنا أقول :

— حسنا .. تفضلي .

خرجت من السيارة مطأطئة الرأس ، في حين واصلت أنا  
طريقي بالسيارة ، متجاوزا سرعتها العادية . دون أن أحاول  
الالتفات خلفي ..

لم أتناول غذائي في هذا اليوم ، بل وصلت إلى منزلي متوتر  
الأعصاب ، شعرت ببحر في كبرياتي .. كنت غاضبا ؛ لأن

والالتقاء بها .. وسرعان ما انقلب قلقي من التفكير في تلك  
المقابلة ، إلى قلق من نوع آخر ، لتأخرها عن الحضور ،  
وعندما حضرت ، ورأيتها مقبلة نحوي ، عاودني الشعور  
بالخوف والاضطراب ، متمزجا بمشاعر الفرحه ، لأنها لم تخيب  
آمالي ، وجاءت كما تواعدنا .. حقا لقد جعلتني هذه المرأة  
أجرب مشاعر وأحاسيس لم أعرفها في حياتي من قبل ..

وفتحت لها باب السيارة ، وأنا أشير إليها بالركوب ،  
ولكنها بدت مترددة ، وهي تقف أمام الباب المفتوح ،  
ونظرت إليها بدهشة قائلا :

— لماذا لا تركبين ؟

كانت في عينيها نظرة خوف وتردد ، مما دفعني لأن أقول لها  
بخشونة :

— الأيكفى أنك قد جئت متأخرة .. هل ستركين أم لا ؟

دفعت بنفسها داخل السيارة إلى جانبي ، وأدرت محرك  
السيارة وعيني مسلطة على الطريق ، دون أن ألقت إليها ..  
كنت لا أزال غاضبا من تصرفها هذا ، ومحاولتها التراجع  
عن لقائي ، ولكن هذا لم يمنعني من أن أختلس النظر إليها ، في  
المرأة المثبتة أمامي داخل السيارة ، بين الحين والآخر ،



دعوتي رُفِضَتْ على هذا النحو ، ولم أحاول أن أتمس لها الأعدار ، وأحسست أننى غير راض عن نفسى ، ولا عن الأمر منذ بدايته .. لقد انتهت لتوى من مرحلة شديدة القسوة فى حياتى ، واسترحت لعودتى إلى حياتى العادية مرة أخرى ، أمارس عملى ، وأصرف أمورى ، وفقا لذلك التنظيم الذى تأقلمت معه طوال حياتى ، دوئما قلق وتوتر ، من ذلك النوع الذى يؤثر فى الوجدان .. ولكن هأنذا قد جلبت لنفسى المتاعب ؛ بتفكيرى فى تلك المرأة ، ومحاولتى إقحامها فى حياتى ..

ودفعنى غضبى إلى التفكير فى فض شركتى معها ، والتخلص منها بصورة نهائية ، حتى أوفر على نفسى ذلك الإزعاج ، ولكن حينها هدأت قليلاً ، وجدتنى ألوم نفسى بشدة على تفكيرى هذا ، فليس فى الأمر ما يدعو إلى كل هذا الغضب والتفكير الانفعالى ، الذى يصل إلى حد القسوة .. لقد دعوتها لمشاركتى الغداء ، ولم تلق دعوتى لها شيئاً من القبول ، لأسباب خاصة بها ، ولا يوجد ما تلام عليه من أجل ذلك ، فمن حقها أن تقبل أو ترفض دعوة توجه لها ، ويتعين على أن أتقبل الأمر بطريقة أكثر بساطة ، دون ترك العنان

\* \* \* \* \* ٨٢ \* \* \* \* \*

لانفعالاتى المتدفعة على هذا النحو .. وحاولت أن أخفى عن نفسى ، وأنا أحاول أن أهون عليها الأمر ، الواقع الحقيقى لغضبى وانفعالى المتزايد ، وهو أن رفضها لم يأت جارحاً لكبريائى فقط ، ولكن لعاطفتى أيضاً ، التى أصابها بلمسة من الحب .

وتناولت الهاتف لأتصل بـ (مذكور) فى منزله ، قائلاً :  
— (مذكور) .. هل انتهت من إجراءات الشحن ؟  
رد قائلاً :

— أين كنت ؟ لقد حاولت الاتصال بك منذ عدة ساعات ، دون أن أجدك .. لقد انتهى كل شىء على مايرام .  
قلت له ، دون أن أعبا بمناقشته فيما تم :  
— ما رأيك لو سهرنا هذه الليلة معاً بالخارج ؟  
أجابنى قائلاً :

— نسهر معاً مرة أخرى ؟ .. لا يا صديقى لن أفعلمها ثانية ، بعد النهاية التى آلت إليها سهرتنا السابقة .  
وجدتنى أقول دون إكتراث :  
— حسناً .. يمكنك أن تنسى الأمر .. فقد كان مجرد خاطر طرأ لى .

\* \* \* \* \* ٨٣ \* \* \* \* \*

سألني :

— (خالد) .. ماذا بك؟ أهناك أمر يضايقك؟

رددت عليه ، قائلاً :

— لا .. لا شيء .. مجرد شعور بالملل والرتابة .

قال لي :

— على كل حال ، لو أردت أن نلتقى ونذهب إلى .....

ولكنني قاطعته ، وقد بدا لي اقتراحي سخيلاً :

— لا .. انس الأمر ؛ فلن أكون بالرفيق المسلي ، ولا

أعتقد أن سهرتنا هذه ستكون أفضل من سابقتها .

قال لي :

— عموماً .. لو شعرت أنك بحاجة إليّ في أي وقت ،

يمكنك الاتصال ، فلن أغادر المنزل ، وإذا أردت أن تحضر

إليّ ، فسوف تجدني في انتظارك .

قلت له :

— حسناً .. وداغاً .

وضعت سماعة الهاتف ، ثم أشعلت لنفسى سيجاراً ،

وتمددت على الأريكة لأشاهد (التليفزيون) ، وبعد قليل

وجدتني أشرد بتفكيرى عما يدور أمامى على الشاشة

الصغيرة ..

\* \* \* \* \* ٨ \* \* \* \* \*

لقد كانت (وفاء) تلجّ على تفكيرى بشدة ، ووجدتني

أسأل نفسى : ثرى ماذا تفعل الآن؟ .. هل عادت إلى

(قليوب)؟ وهل هي موجودة الآن في منزلها؟ أم أنها قضت

هذه الليلة في (القاهرة) لدى أحد أقاربها أو معارفها؟ .. ألا

يحتاجها الآن شعور بالأسف أو الندم ، لعدم تلبية دعوتى؟

وضايقتنى أنها عادت تلجّ على تفكيرى على هذا النحو ،

وضايقتنى أكثر أننى منذ أن رأيتها لم أعد أفكر مطلقاً في ابنتى

وزوجتى اللتين فقدتهما ، وشعرت أن ضميرى يحاسبينى على

هذا النسيان ، والتحوّل بمشاعرى إلى هذه الوجهة ..

وغادرت مكاني على الأريكة ، لأتوجه إلى المكتبة ، حيث

أحضرت كتاباً ، وتمددت فوق فراشى ، محاولاً أن أشغل

تفكيرى من جديد بموضوع الكتاب الذى أقرؤه .

— ولكن هيهات .. لقد استقرت (وفاء) في عقلى

وحرمتنى من التركيز ..

حرمتنى منه تماماً ..

\*\*\*

\* \* \* \* \* ٨٥ \* \* \* \* \*

## ٨ - إحساس مشترك ..

كانت واقفة مع العمال في المزرعة ، تشرف على تفريغ أكياس الأسمدة من سيارة النقل التي أحضرتها ، ووقفت على بعد عدة أمتار ، أرقبها وهي تدور وتحرك ، وتشرف على العمال بهمة ونشاط الرجال .. كنت مأخوذاً بالطريقة التي تتحرك بها ، وخصلات الشعر الذهبية التي تتطاير فوق وجهها .. كانت تتحرك بهمة الرجال ، ولكن خطواتها الرشيقة كانت تكشف عن فتنة طاغية ، وضائقي هذا الشعور ، الذي يسيطر عليّ كلما رأيتها ، فهي تشعرني بضعف حقيقي إزاءها ، مما يجعلني أتخذ رد فعل معاكساً لشعوري هذا ، وأحاول الظهور بمظهر أكثر خشونة ..

واقتربت منها ، وقد وضعت على وجهي قناعاً جامداً ، وما أن رأتها حتى بدا عليها الاضطراب ، وقد فوجئت بوجودي ، وسرعان ما قالت بصوت ينم عن اضطرابها :  
— حمدًا لله على السلامة يا أستاذ (خالد) .

قلت بصوت تعمدت أن يكون خشناً ، وأنا أنظر إلى العمال ، وهم يفرغون أكياس الأسمدة البلاستيكية ، دون أن أنظر إليها :

— هل أحضرتكم كمية الأسمدة المطلوبة ؟

قالت :

— نعم .. لقد استخدمنا كل المبلغ المخصص للأسمدة ؛

إحضارها دفعة واحدة .

تطلعت إلى آخر كيس يُنقل إلى المخزن ، قائلاً :

— حسناً .. هناك أية متطلبات أخرى ؟

أجابتي بصوت خافت :

— لا .. اعتقد أنني قد حددت كل ما هو مطلوب ، في

الميزانية التي قدمتها لك .

هزرت رأسي قائلاً :

— حسناً .. إذا احتجت إلى أي شيء آخر ، اتصل بي في

المكتب .

واتخذت طريقي إلى سيارتي بخطوات متباطئة ، وأنا أتمنى لو

وجدت سبباً للبقاء أكثر من هذا معها ، وشعرت برجفة في

قلبي ، عندما سمعتها تتاديني قائلة :

كانت عاجزة عن النطق به ، وأخيراً لم أجد مناصاً من  
الانصراف ، فقلت ها :

— حسناً .. والآن وداعاً .

تُحِيلُ إِلَى أَنِّي أرى في عينيها نظرة تثبث ببقائي ، وتدعوني  
إلى عدم الرحيل ، وسرعان ما قالت لي بلهفة ، قبل أن  
أغادرها :

— ألن تأتي إلى المزرعة قريباً ؟

قلت لها :

— ربّما .. لو أتاحت لي ظروف العمل ذلك .

ثم تركتها وانصرفت إلى سيارتي ، بعد أن ألقيت عليها نظرة  
أخيرة ، حيث لا تزال واقفة في مكانها ، وفي عينيها تلك النظرة  
التي تنادي ببقائي ..

وأخذت طوال الطريق أسترجع هذه النظرة ، متسائلاً  
عما تتطوى عليه من معان .. هل لديها حقاً بعض من ذلك  
الذي أحسّه نحوها ؟ ..

هل تشعر باشتياق لي ؟ .. وبرغبة في وجسودي إلى  
جوارها ، كذلك التي أشعرها ؟

هل تتابها تلك الלהفة لرؤيائي ؟ .. وذلك الشعور بالوحدة

— أستاذ ( خالد ) .

التقت إليها سريعاً ، وأنا أحاول إخفاء مشاعري ، قائلاً :

— أهناك شيء ؟

اقتربت مني قائلة ، وهي تخفض وجهها أرضاً :

— أرجو أن تقبل أسفى ، بشأن دعوة الغداء .

قلت ، وأنا أحاول أن أبدي عدم الاكتراث :

— لقد نسيت هذا الأمر .

كان وجهها مضرجاً بحمرة الخجل ، كما لو كانت فتاة  
صغيرة تقرب بدنيتها ، وانتظرت منها أن تقول شيئاً آخر .. أى  
شيء يجدد الحديث بيننا ، ولكنها ظلت لائذة بالصمت ،  
فعدت أقول :

— أليس لديك شيء آخر ؟

رفعت إليّ وجهها الفاتن ، لتقول :

— لا أريدك أن تغضب مني .

رددت عليها قائلاً ، وقد عدت لتصعّ عدم الاكتراث :

— لماذا ؟ قلت لك إنني قد نسيت الأمر .

وظللت واقفاً مكاني ، وقد عاد الصمت يحيم علينا .  
ولكنني كنت أشعر من نظراتها أن لديها الكثير لتقوله .. وإن

والفراغ لا يتعادي عنها ، على ذلك النحو الذي صرت أشعره  
تجاهها؟ أم أن خيالي وأحاسيسي المضطربة هي التي صورت لي  
ذلك؟

ولكن لا ..

لا يمكن أن يكون هذا الذي رأيته في عينيها خيالاً أو وهماً  
صورته لي أحاسيسي ..

لابد أنه حقيقة مؤكدة ، كذلك الحقيقة التي أعرفها في  
نفسى ، وهى إننى لم آت إلى هذه المزرعة للاطمئنان على  
احتياجاتها ، أو سير العمل فيها ..

لقد كانت هذه حجة اصطفتها لنفسى ، ووسيلة أَرْضى بها  
كبريائى ، لكى تتاح لي الفرصة كى أراها ، على الرغم من  
نقمتى عليها ، لصدها إياى ..

من يدرى ربما أن لمسة الحب ، التى أصابت قلبى ،  
وأخرجتسى عن طورى ، على هذا النحو ، قد مسّت قلبها  
أيضاً ..

ولكنى هزرت رأسى بشدة ، خوفاً من أن أنجرف بأفكارى  
نحو مشاعر غير حقيقية ، وانطلقت زفرة طويلة من صدرى ،  
وأنا أقول لنفسى :

— على الأأسرف فى الخيال ، وأن أتوقف عن الإغراق فى  
تلك المشاعر المراهقة .

وضغطت على عجلة القيادة بأصابعى فى ضيق ، وأنا  
أردف قائلاً :

— تَبّاً لتلك المشاعر .. لماذا تقتحم علىّ حياقى الآن ؟  
ولماذا تربطنى بتلك المرأة على هذا النحو المؤرق؟

استغرقنى العمل فى اليوم التالى ، إلى الحد الذى أبعدنى عن  
التفكير فيها ، ووجدت (مذكور) داخلاً علىّ ، وهو يحمل معه  
مجموعة من الأوراق والملفات الجديدة ، قائلاً :

— ألدبك استعداد لقضاء بعض ساعات إضافية فى  
العمل ؛ لإنهاء هذه الأوراق؟

قلت له مبتسماً :

— يمكنك أن تحضر لى ماشئت من الأوراق ، فشهىتى  
مفتوحة اليوم للعمل .

قال صاحكاً :

— ما كل هذا النشاط؟ .. سبحان مُعَيِّر الأحوال .. من  
رآك بالأمس لا يراك اليوم .

قلت وأنا أفحص الملفات ، التى تناولتها منه :

— دوام الحال من الحال يا صديقي .

استمر في دعابته ، قائلاً :

— ليتنى أراك على هذه الحال دائماً ، على أن يكون حافظك إلى العمل حقيقياً ، وليس محاولة للهروب من أشياء أخرى . نظرت إليه بحنق ، قائلاً :

— أية أشياء أخرى تلك التي تقصدها ؟ ألن تتوقف عن لعب دور الخبير السرى ، الذي تمارسه معي .

قال متخابثاً :

— ألن تتوقف أنت عن إخفاء أمورك الأخيرة عني ؟

قلت مؤنباً :

— أية أمور تلك التي تتحدث عنها ؟ .. هيا تعال لننتهي معا من مراجعة تلك الأوراق ، بدلاً من ترديد تلك الكلمات السخيفة .

وفجأة سمعت أزيز آلة الاتصال الداخلي فوق مكتبي ، وصوت سكرتيري وهي تقول :

— مدام (وفاء) هنا ، وهي تريد مقابلة سيادتكم .

بدا على الاضطراب ، وأنا أزدرد لعابى ، في حين حدجنى (مذكور) بتلك النظرة الخبيثة وعلى وجهه ابتسامة ذات دلالة واضحة ، قائلاً :

— هذا هو ما كنت أقصده بأمرك الأخيرة ، وأعتقد أن استنتاجات الخبير السرى في محلها .. هيا .. هل ستظل صامتاً هكذا ؟ .. ألن تدعوها إلى الدخول ؟ وضغطت على الزر الموضوع أمامي ، قائلاً :

— دعها تفضل .

نهضت واقفاً أمام مكتبي ، وأنا أنتظر دخولها من الباب ، وشعرت بأننى غير قادر على الانتظار ، بل أردت أن أتقدم نحو الباب لأفحبه لها ، ولكننى كنت مرتبكاً ؛ بسبب حضورها غير المتوقع ، وتلك النظرة الخبيثة التى يحدجنى بها (مذكور) ..

وسرعان ما فُتح باب الغرفة لأراها وهي تدخل أمامي .. ما أروعه من ثوب ، ذلك الذى كانت ترتديه ... بل العبارة الأصدق هي : ما أروعه من جمال ! ذلك الذى أضافه إلى الثوب الذى كانت ترتديه ..

لقد كانت بارعة الحسن حقاً ، ولم يصف جمالها الكثير إلى ثوبها فحسب ، بل وإلى المكان أيضاً ..

لقد أضفت على غرفتى الكثير من مظاهر الجمال والبهجة ، منذ وطئت أقدامها الغرفة ، وقالت بصوتها الناعم الدافئ :

— أرجو ألا أكون قد أزعجتكما .

وظللت أهدق فيها ، دون أن أنطق بكلمة .. ما أعرب شعورى نحو هذه المخلوقة ! فكلمنا رأيتها أحسن وكأنتى أراها لأول مرة ، وأشعر بالانهار إزاء جمالها المتجدد دائماً ..

وسارع (مدكور) ، وقد رآنى صامتاً لاستقبالها ، قائلاً :

— أبداً .. أبداً .. تفضلى يا (وفاء) هانم .

تقدمت نحوى ، تمدت يدها مصافحة ، وشعرت بدفء ملمس أصابعها الناعمة فى راحتى ، وأنا أقول لها ، دون أية رسميات :

— أهلاً (وفاء) .

وظللت واقفاً أمامها ، دون أن أدعوها إلى الجلوس .. كنت بحاجة إلى بعض الدقائق القليلة ، حتى أسترد سيطرتى على نفسى ، وقام (مدكور) مرة أخرى بإنقاذ الموقف ، وهو يقول لها :

— تفضلى بالجلوس يا (وفاء) هانم .

وسألتنى وهى تنظر إلى الأوراق والملفات الموضوعه أمامى :

— يبدو أننى قد عطنتكما عن العمل .

\* \* \* \* \* ٩٤ \* \* \* \* \*

اندفع (مدكور) يجمع الأوراق والملفات من فوق مكتبى ، قائلاً لها :

— لقد اتينا من العمل تقريباً .

ولكننى فى كفى بكوعه ، وهو يهمس لى قائلاً :

— ما الذى حدث لك ؟ ألم تر هذه السيدة من قبل ؟

قلت لها مشيراً إلى المقعد المواجه لمكتبى :

— أرجوك تفضلى بالجلوس .

عاد (مدكور) يهمس لى ، وهو يهيم بمغادرة الغرفة :

— لا تقلق بخصوص هذه الأوراق ، سأنيها بنفسى ، المهم أن تهتم أنت بذلك الجمال الساحر الجالس أمامك ، ولا تظن محذوقاً بها هكذا كالتشال .

وما أن شعرت بانصرافه من الغرفة ، حتى بدأت أستعيد توازنى مرة أخرى ، فقلت لها :

— هل هناك أية احتياجات أخرى بالنسبة للمزرعة ؟

ردت على قائلة ، وهى تفض الطرف :

— ألا يمكننى أن آتى إلى مكتبك ، إلا فى الأمور التى تتعلق بالمزرعة ؟

قلت لها ، وأنا أحاول ألا أهدق فى وجهها الجذاب ، حتى

\* \* \* \* \* ٩٥ \* \* \* \* \*

أجابتنى :

— رأى أن منحهم زيادة معقولة ؛ فهذا سيزيد من حماسهم للعمل وسيعود بالفائدة على المزرعة ، خاصة وأنهم لم يحصلوا على أية زيادة في أجورهم ، منذ فترة طويلة .

هزئت رأسى موافقًا ، وأنا أقول :

— حسنًا .. اقترحي الزيادة المطلوبة ، وسوف أضيفها للميزانية التى اقترحتها ؛ لعمل اعتماد جديد .

قالت لى :

— هل يوافقك عشرة جنيهات إضافية لكل عامل ؟

أجبتها مؤيدًا :

— فليكن .. إننى موافق .

أخذت تحك بأظافرها حافة مكتبى ، وقد بدا عليها شيء من التردد والحجل ، وهى تقول :

— والآن وقد اتينا من العمل ، ألا زالت دعوتك ، التى

قدمتها لى لتناول الغداء قائمة ؟

وجدت نفسى أقول لها فجأة بعصية وخشونة :

— أتظننى طفلًا صغيرًا ، أو شابًا مراهقًا ؟ .. مرة تقبلين

دعوتى لك ثم تعودين فترفضينها ، ثم تعودين لتقترحين أن أجدد

\* \* \* \* \* ٩٧ \* \* \* \* \*  
[٧م . زهور (٤٤) لن أنسك]

لا أقع تحت تأثيره ، وأعجز عن اتخاذ ذلك المظهر الجاد ، الذى أفضله فى مواجهتها :

— لا .. بالطبع يمكنك أن تحضرى فى أى وقت تشائين .

قالت لى :

— حسنًا ، ومع ذلك فقد جئتك بشأن المزرعة .

قلت لها ، وقد شعرت بخيبة أمل :

— إننى مستعد لتلبية طلباتك .

قالت مترددة :

— بعض العمال فى المزرعة يطلبون زيادة فى أجورهم ،

وقد طلبوا منى أن أتحدث إليك فى هذا الشأن .

قلت لها بلهجة جافة :

— كان يمكنك أن تحدثينى فى ذلك هاتفياً ، دون أن تكلفى

نفسك عناء الحضور إلى هنا .

قالت متخذة نفس المظهر الجاد :

— لقد فضلت أن أتحدث إليك مباشرة ، خاصة وقد

حضرت لشراء بعض الأشياء الخاصة لى من (القاهرة) .

سألتها قائلاً :

— وما رأيك أنت ؟

\* \* \* \* \* ٩٦ \* \* \* \* \*



لك الدعوة مرة أخرى .. يجب أن تعرفي أنني لا أحب ولا أقبل  
هذا الأسلوب في التعامل معي .

خدتني بنظرة تعكس حالة الذهول التي ألمت بها ،  
نتيجة لتحديثي معها على هذا النحو الحشن ، وسرعان ما تحول  
الذهول إلى حزن عميق في عينيها الصافيتين ، وفي سكون  
نهضت واقفة ، وهي تقول بصوت يعكس ألمها :

— آسفه .. أردت فقط أن أعتذر بطريقة عملية ، عن  
تصرفي السابق معك .

حدقت فيها مرتبكا لحظة ، وقد أحسست أن تصرفي هذا  
جاء عن غير وعي ، وأنتي تصرفت معها بفضافة لا تستحقها ،  
فقلت لها وفي صوتي ماينم عن ندمي :

— لست أدري ما الذي دهاني ؟ .. ما كان يجب أن يكون  
تصرفي معك على هذا النحو ، ولكن ما قلته لك في المزرعة ،  
عن عدم اكترائي بقبولك لدعوتي السابقة لم يكن حقيقيا ، لقد  
كنت غاضبا حقا من تصرفك تجاه هذه الدعوة ، ولم يكن الأمر  
متعلقا بالغذاء بالطبع ، ولكنني أحسست أنك قد صدمت  
مشاعري ، التي حاولت أن أعبر لك عنها يومها بصراحة ..  
والآن هل تغفرين لي إساءة إليك ، ولاتغادرين غرفتي وأنت  
ناقمة علي ؟

عادت للجلوس وعيناها مبللتان بالدموع ، لتقول :  
— كيف أنقم على الرجل الوحيد ، الذي تعاطف مع  
أحزاني ، وسعى إلى تخفيفها عني ، ولجأ إلى كل ما يمكن عمله  
لإسعادي ؟

انطلقت زفرة ضيق من صدري . وأنا أقول

— ليتك تتوقفين عن الحديث عن امتنانك نحوي .  
قالت سريعا :

— ليس الامتان هو شعوري الوحيد نحوك يا (خالد) .

كانت هذه هي المرة الأولى ، التي أسمعتها تنطق فيها اسمي  
مجردا دون ألقاب ، ولا أدري لماذا بدا اسمي ذارئة خاصة في  
أذني هذه المرة ؟ .. ولماذا داخلني إحساس بالسعادة وأنا أسمعها  
تنطقه هكذا مجردا . وأردفت هي قائلة :

— لقد ترددت في قبول دعوتك في المرة السابقة ؛ لأنني  
أحسست بنفس الإحساس ، الذي انتابك ، حينما التقينا ،  
والذي حاولت أن تفسره لي دون أن تجد له تفسيرا .. لقد  
أصابني هذه الإحساس بالخوف ، وشعرت أن تأثيره علي ، لو  
تركت نفسي أستسلم له ، سيكون أقوى من قدراتي ؛ لذا  
أثرت أن أبتعد عنك ، وأن أخفق هذا الإحساس من البداية .

قلت متسانلاً :

— لماذا .. هل تخافيني ؟

أجابتنى قائلة :

— لم أتصور نفسي لحظة واحدة ، وأنا أفكر في شخص آخر ، غير زوجي الذي فقدته ، ولم أتصور نفسي مطلقاً وقد نسيت شعوري باللوعة تجاه ابنتي ، التي ماتت بين يدي ، لأنخرط هكذا سريعاً في شعور آخر ، مع رجل التقيت به منذ عدة أيام .

قلت لها :

— لا تحاولي أن ترمي نفسك بعدم الوفاء والإخلاص ، لشعور إنشائي لاحيلة لك فيه ، فكلانا لم ينس ، ولا يمكنه أن ينسى .. لم أنس زوجتي وابنتي اللتين فقدتهما ، كما أنك لن تنسى زوجك وابنتك الراحلة ، كما تعتقدن ، ولكن علينا أن نتوقف عن تعذيب أنفسنا كلما تذكرناهم ، ولا يجب أن ندع حياتنا تتوقف أمام عذاب الفراق ، ولوعة حزننا عليهم .. فليبقوا في وجداننا وفي ذاكرتنا ، ولكن دون أن ندع ذلك يجرمنا من أي إحساس جديد يطرأ على حياتنا ، فنهرب منه ونخشاه . وقالت ونظرة خوف تطل من عينيها :

\* \* \* \* \* ١٠٠ \* \* \* \* \*

— ثرى .. أي طريق يقودنا إليه ذلك الإحساس المبهم ؟

قلت لها مبتسماً ، وأنا أمد أصابعي إلى يدها الموضوعه فوق

مكتبي ، وأصغط عليها برفق :

— دعني القدر يجيب على هذا السؤال ، فليس منا من يختار

طريقه .

شعرت بارتجافة أصابعها لدى ملامستي لها ، وسحبت

يدها سريعاً من يدي ، فعدت أقول .

— بلهجة مرحة :

— حسناً .. لقد سألتيني إذا كانت دعوتك لك للغداء

مازالت قائمة وهأنذا أجيبك .. نعم إنها مازالت قائمة ،

وأرجو أن تقبلها هذه المرة ، ولا تخيبي أملي كالمره السابقة .

ابتسمت في حياء ، وهي تخفض عينيها ..

وكان هذا جواباً كافياً .



بينما كنت أقود السيارة وجدتها تقول :

— هل يمكننا أن نتوقف هنا ؟

نظرت إليها باندهاش ، قائلاً :

— لماذا ؟ إننا لم نصل بعد إلى المطعم ، الذي سنتناول فيه

غداءنا .

ابتسمت قائلة :

— ومن قال إننا سنذهب إلى مطاعم ؟

ازدادت دهشتي وأنا أقول :

— ألم تقبل دعوتي للغداء ؟

قالت دون أن تفارقها الابتسامة :

— لقد غيرت رأبي .

نظرت إليها ، وقد اكتسى وجهي بالغضب ، قائلاً وأنا

أوقف السيارة :

— ماذا ؟

ضحكت قائلة :

— لا تنفعل سريعاً هكذا .. إنني أقصد أنني أنا الذى

أدعوك لتناول الغداء معي ، وفي تلك الحديقة التى تراها

أمامنا .

نظرت إليها متحيراً ، وأنا أقول :

— فى تلك الحديقة ؟.. كيف ؟

تناولت سلة صغيرة ، أحضرتها معها من فوق المقعد الخلفى

للسيارة ، قائلة :

— ألم تلاحظ تلك السلة ، التى أحضرتها معي ؟ إن بها

فطائر وبيضاً وعسلًا وجبنًا ، أحضرتها معي من المزرعة ؛

لنتقاسمها معًا .

وصمت لحظة ، ثم قالت :

— ألا تحب الطعام الريفى ؟

ابتسمت قائلاً :

— ولكنى كنت أريد ...

قاطعتنى قائلة :

— لا تحاول أن تبخس من قدر طعامي ، فأنا أؤكد لك

أنك ستفضله عن تلك الأطعمة التى يعدونها فى المطاعم .

قلت لها :

— أعتقد أنه سيكون رائعًا ، مادام من صنع يديك .

اعترضت قائلة :

— لا تبدأ معي بالمجاملات .. انتظر حتى تذوقه أولاً ، ثم

قل رأيك الحقيقي فيما بعد .

أوقفت السيارة ، وهبطنا منها لنفترش العشب الأخضر للحديقة ، وأخذت (وفاء) في إعداد الطعام الذي أحضرته ، وأعجبتني الطريقة التي كانت تعدّها بها الطعام فوق النجيلة الخضراء ، والطريقة التي كانت تزيج بها حصلات شعرها ، الذي تهذل فوق جيئها ، وهي تميل برأسها لترتيب الأوعية البلاستيكية التي أحضرتها ، ولا بد أنها شعرت بنظرات الإعجاب المطلّة من عينيّ إذ رمقتني بنظرة قصيرة وهي تبسم ، ثم قالت :

— والآن تفضّل .

لقد تناولت أفخر الأطعمة ، في أفخر الأماكن ، ولكنني أعتقد أن هذه هي أجمل الأطعمة التي تناولتها طوال حياتي .. لم يكن هذا بسبب جودة الطعام الذي أعدّته بالطبع ، ولكن لما أحدثه هذا من تقارب كبير بيننا .

وسألتي قائلة :

هيا .. دون مجاملة ، قل رأيك الحقيقي .

قلت وأنا أمسح شفّتيّ من أثر الطعام بمنديل ورقى :

— دون مجاملة .. هذا أشهى طعام تناولته في حياتي .

بدت على وجهها ملامح الرضا ، وهي تقول :

— يسعدني أن يكون هذا رأيك .

ابتسمت قائلاً :

— ولكنني لم أتصورك تحيدين صنع الأطعمة الريفية .

قالت باستنكار :

— لماذا؟ .. إنني ريفية الأصل .. فلا تغتر كثيرًا بمظهري .

قلت هامسًا :

— سواء كنت من الريف أو المدينة ، فأنت أجمل من

وقعت عليها عيناى .

قالت بدلال ، وهي تحاول إخفاء ابتسامتها :

— آه .. لقد بدأت الغزل .

قلت لها :

— إذا كنت تعتبرين صراحتي غرلاً . فهي كذلك .

سألتي قائلة :

— قل لى : كيف تقضى يومك؟ .. أعنى بعد انتهائك من

عملك .

قلت ، وأنا أستد بظهري إلى جذع الشجرة التي تظللنا :  
— لاشيء يذكر .. أعود إلى المنزل لمشاهدة  
(التلفزيون) ، أو قراءة كتاب ، وأحيانا أذهب إلى النادي  
لممارسة بعض الرياضة ، أو أرتاد بعض الحفلات التي يقيمها  
رجال الأعمال .

قالت وهي تعيد وضع الأوعية داخل السلة :  
— إنها حياة حافلة إذن .

قلت وأنا أنظر إلى طفلين صغيرين ، يرحان على مسافة  
منا :

— بل قولي : إنها حياة رتيبة مملة ، أحاول أن أشغلها بأية  
وسيلة كانت .

والفتت إليها ، فوجدتها تحديق فيّ قائلة :

— الحياة قاسية ، حينما نجد أنفسنا فيها دون من نحبهم ..

أليس كذلك؟ إنه شعور أعرفه جيدا .

أجبتها ، وأنا أتناول يدها في راحتي :

— ولكنني لم أعد أعرفه ، منذ أن قابلتك .

سحبت يدها من يدي سريعا ، وهي تسبل أهدابها ، وقد

بدا عليها الاضطراب ، ولكنها عادت تنظر إليّ مرة أخرى ،

وهي تقول :

\* \* \* \* \* ١٠٦ \* \* \* \* \*

— لم أكن أريد أن يحدث بيننا مثل هذا التقارب .  
رددت عليها قائلاً :

— ولكنه حدث ، بدليل أنك قد جئت إلى مكثبي ومعك  
سلة الطعام هذه ، إذن فقد فكرت أن نلتقى ، وأن نتقارب ،  
وأن نتناول طعامنا معاً .

نظرت إليّ قائلة :

— أليس هذا نوعاً من الجنون؟.. لقد حاولت أن أعتذر  
لك بطريقة لطيفة عن تصرفي معك ، فأعددت هذه السلة ،  
وجئت بها لمقابلتك ، وعندما قابلتك فكرت أن أترجع عما  
فكرت فيه ، ولكنني في اللحظة الأخيرة وجدتني أدعوك معي  
إلى الغداء في ذلك المكان .

قلت لها :

— لا تقولي إنك قد فعلت هذا كنوع من الاعتذار المهذب

فحسب .

ردت قائلة ، وقد عادت تسبل أهدابها :

— اعتقد أنني أجبت على ذلك ، حينما تحدثت إليك في

مكثبك .

قلت وأنا أعود لتناول يدها في يدي :

\* \* \* \* \* ١٠٧ \* \* \* \* \*

— ولقد اتفقنا على أن نطرح الخوف جانبًا .. أنت نادمة لوجودنا في هذا المكان وتناولنا للطعام معًا؟ أم آسفة على إحساسك ، الذي تشعرينه نحوى؟

صمتت قليلاً ، قبل أن تقول ، وقد أسلمت يدها ليدي :  
— لا أعرف .

وقلت لها ، وأنا أتطلع إلى عينيها الجميلتين :  
— ليتك تتقين بي يا (وفاء) .

ونظرت إليّ ، وفي عينيها نظرة تشفّ عن حيرتها :  
— ربما لا أتق في نفسي .

ثم أدارت وجهها إلى الجهة المقابلة ، فأدّرت يّ بلطف ،  
قائلة :

— لا تعاملي نفسك بمثل هذه القسوة .. دعها تنطلق من ذلك الأسر الذي تصرين على سجنها فيه .  
ابتسمت قائلة بمرارة :

— إنك تحاول تبسيط الأشياء .  
رددت قائلًا :

— ولماذا أعقدها؟

حدقت فيّ وهي تعود لتسحب يدها من يدي ، قائلة :

— أحيانًا أعتقد أنك لم تعرف شيئًا من الحزن والمرارة كما حدثتني ، حينما علمت بفرق ابنتك وزوجتك ، وأن الأمر لم يكلفك سوى أيام قليلة من الحزن ، وأما ما عدا ذلك فلم يكن سوى كذب وتمثيل .

قلت متألمًا :

— ادعوا الله ألا يعرف أحد حزننا ولا ألمنا كاللذين عرفتهما .

بدا على وجهها شعور بالأسف الشديد ، وهي تنظر إلى عينيّ اللتين اغرورقتا بالدموع ، فأحاطت وجهي بكفيها قائلة :

— أنا آسفة .. آسفة جدًا .. ليتي ما قلت لك هذا .  
قلت لها :

— أنا أعرف لماذا قلته ، ولكن صدقيني ، لو أن الحزن والألم يعيد إلينا من فقدناهم من أحياء ، لما توقفنا عن الحزن .  
استمرت تنظر إليّ ، وهي تحيط وجهي بكفيها ، وفي عينيها نظرة تأثر ، ثم قالت فجأة :

— (خالد) . أخشى أنني أحبك .

كنت أرقبها في صمت ، والتقت عينانا في نظرة ، كشفت كل مشاعرنا ، وأنا أقول لها :

— أما أنا ، فأعرف جيدا أنني أحبك ، برغم مراوغتي  
لنفسى حتى لا أعترف لها بذلك ، أما الآن فلم أعد أخشى  
الاعتراف بهذا الحب .

عادت تشيح بوجهها عني ، وهى تقول :

— ولكنى أشعر بالذنب من أجل ذلك .

أمسكت بكفها قائلاً :

— لماذا؟

تحولت إلى بعينين دامعتين ، وهى تقول :

— لأننى عاهدت نفسى على أن أبقى مخلصاً لزوجى

وذكرى ابنتى .

قلت وأنا أضغط كفها فى رفق :

— لكن زوجك وابنتك ماتا ، كما ماتت زوجتى وابنتى .

أما نحن فدا زلنا أحياء ، ومشاعرنا أيضاً حية .

ردت قائلة ، وفى عينيها نظرة رافضة :

— ولكنى أحس بزوجى كما لو كان حياً ، وأشعر بأنتى

أراه واقفاً أمامى . وهو يشير إلى بأصبعه يتهمنى بالخيانة .

والذنب .. إننى أرى عينيها تحديقان فى بأسى ، وهو يقول :

« كيف أمكنك أن تفعلى هذا؟ .. كيف تخليت عن وفائك

وإخلاصك بمثل هذه السهولة؟ » .. كما أرى ابنتى أمامى  
تبكى ، وترمقنى بنظرة لوم واتهام ، وهى تقول لى : « كيف  
أمكنك أن تتسببى على هذا النحو يا أمى ؟ .. لماذا تركت ذلك  
الرجل يتزعنى من تفكيرك؟ » .

قلت لها بانفعال :

— (وفاء) .. توقفت عن هذا الكلام .. أنا أيضاً كان لى

زوجة وابنه ، كنت أمتنى أن أضحى بحياتى من أجلهما ،

ولكنهما رحلتا عني ، وحزنت كثيراً من أجلهما ، ولكنى لا

اعتقد أنهما يرميان بالذنب ، أو يحاصرانى بنظرات الاتهام ،

على النحو الذى تريدان أن تعذبى به نفسك ، ولو كنت

أتحيلهما الآن أمامى كما تفعلين ، لوجدتهما يطالبانى أن أعيش

حياتى ، كما يفعل بقية البشر .. أحب ، وأسعد بمن أحبه ، دون

أن أثقل على نفسى بشعور ذنب لا يمرر له ..

قالت دون أن تتخلى عن نظرتها المضطربة :

— ربما أن مشاعر المرأة تختلف عن مشاعر الرجل .

قلت متسائلاً :

— أتريدان أن تقولى إن المرأة أشد إخلاصاً ووفاء من

الرجل؟

قالت :

— يتعين على المرأة أن تتمسك بإخلاصها .. يتعين عليها أن تكون هكذا .

رددت عليها قائلاً :

— لو كان كلامك هذا صحيحاً .. لما عرفت المطلقات والأرامل الحب والزواج بعد رحيل أزواجهن أو أبنائهن .. (وفاء) ، لقد عبرنا منذ لحظات عن إحساس حقيقي وصادق ، دعينا نتمسك به .. دعينا ندع له الفرصة لكي ينمو ويكبر ، ويعبر عن نفسه بشكل أكثر صدقاً ، وهو أن كلنا منا يشعر بالحب تجاه الآخر .

قالت ، وهي تتراجع برأسها إلى الوراء :

— ربما الأمر لا يبدو كونه مجرد نزوة .

رددت كلمتها قائلاً :

— نزوة؟ أتحدثين عن مشاعرنا الصادقة ، التي كشفنا عنها الآن ، على أنها مجرد نزوة .. كيف أمكنك أن تقول ذلك؟

هزت رأسها بحزن قائلة :

— لست أدري .. لست أدري .. إنني حقيقة مضطربة .. أرجوك يا (خالد) .. دعني أذهب الآن .

\* \* \* \* \* ١١٢ \* \* \* \* \*

ونهدت واقفة ، وأنا أتطلع إليها في حيرة ، ثم نهضت بدوري ، قائلاً :

— حسناً .. سأوصلك .

ولكنها تناولت السلة ، وابتعدت سريعاً وهي تقول :

— بل سأخذ سيارة أجرة .

وحاولت اللحاق بها ، قائلاً :

— وما الذي يدعوك إلى أخذ سيارة أجرة .. سأوصلك

بسيارتي؟

ولكنها أصرت على موقفها في عناد ، وهي تقول :

— أرجوك يا (خالد) .. دعني أذهب بمفردى .. أرجوك

أريد أن أنفرد بنفسى الآن .

ولم أحاول أن أضغط عليها ، فأوقفت لها سيارة أجرة ،

ووقفت أرقبها وهي ترحل .

كان من الواضح أنه هناك صراع قائم بين قلبها ..

وإحساسها العميق بالذنب ، أما أنا فقد حسمت قلبي الأمر ..

إننى أحبها ، ومنذ هذه اللحظة لن أتوقف عن حبي لها ، مهما

كان من أمر الماضي أو الحاضر .. أو المستقبل ..

\* \* \*

\* \* \* \* \* ١١٣ \* \* \* \* \*



أوقفت سيارتي بالقرب من سور حديقة منزلها ، ثم اجتزت  
الباب الخشبي ، ووجدتها واقفة في الفناء الخلفي لسور  
الحديقة ، وهي تنشر بعض ثيابها على الحبال الممتدة في الفناء ،  
فناديتها وأنا الروح لها :

— (وفاء) .

وما أن رأته حتى انتابتها حالة من الاضطراب ؛ لظهوري  
المفاجئ ، وطار (الإيشارب) الحريري الذي كانت تنشره ،  
ليستقر فوق مجموعة الشجيرات الصغيرة الموجودة داخل  
الحديقة ، وأشرت لها مطمئنا ، وأنا أتجه نحو الشجيرات التي  
تعلق بها (الإيشارب) ، ولكن قدمي تعثرت فجأة ببعض  
أصص الزهور القريبة من الشجيرات ، فوجدت نفسي أنزلق  
لأسقط فوق الحشائش المبللة ، وأصص الزهور المخطمة ،  
ووجدتها تتقدم نحوي وأنا على هذا الوضع ، وهي تضع يدها  
على فمها ، تكتم ضحكاتها ، ونظرت إلى نفسي ، فوجدت

ملابسي قد تلوثت ببقع طينية في أماكن مختلفة ، وشعرت لحظة  
بالغضب والحرج ، ولكنني لم ألبث أن انفجرت ضاحكا  
بدوري ، وأنا أنظر إليها .

ومدت يدها لتساعدني على النهوض ، ولكن قدمها انزلقت  
بدوورها في البقعة الطينية ، التي تخلفت عن سقوطي ، لتهوى  
بدوورها على الأرض ، ولوث الطين ملابسها ، وعاد كلانا  
ينظر إلى الآخر ، دون أن يقدر على منع ضحكاته ، فقد بدا  
كلانا في وضع لا يُحسد عليه ..

وسألتني بعد أن ارتديت جلبابا خاصا بأحد العاملين في  
المزرعة ، في حين أبدلت هي ثيابها ، وارتدت ثيابا أخرى جافة  
ونظيفة :

— ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

همست لها وأنا أرتشف رشفة من كوب الشاي الساخن ،  
الذي قدمته لي :

— استنقت لرؤياك . ولم أستطع الانتظار أكثر من ذلك .

قالت وفي عينيها نظرة عتاب :

— (خالد) .

ولكنني قاطعتها قائلا :

— (وفاء) .. توقفي عن معاندة قلبك .. إنك تخيبتني ،  
وأنا أعرف ذلك ، تماماً كما أعرف أنني أحبك ، ولن أستطيع  
الابتعاد عنك .

عادت تردّد اسمي ، كما لو كانت تتوسل إليّ لكي أكف عن  
إثارة مشاعرها :

— (خالد) .

قلت بعناد :

— لا .. لن أدعك تكيلين مشاعري هذه المرة ، كما لن  
أسمح لك بالهروب كما فعلت من قبل .. ثم ألا تشعرين بشيء من  
الشفقة نحوي .. على الأقل لما لاقيته من أجلك اليوم .

انطلقت منها ضحكة قصيرة ، حينما تذكرت ما حدث لنا  
في الحديقة منذ قليل ، ثم قالت :

— لاتنس أنني لقيت نفس المصير .

قلت مازحاً :

— حسناً .. لو أن ما حدث سيأتى لي في النهاية بهذه  
الضحكات ، وتلك الإشرافة الرائعة التي أراها على وجهك ،  
فإنني مستعد أن أعود للترحلق في هذه البقعة الطينية من  
جديد .

\* \* \* \* \* ١١٦ \* \* \* \* \*

قالت بحيث :

— يالك من كاذب ! ونهضت واقفاً ، وأنا اتجه نحو الباب

قائلاً :

— حسناً .. هل تريدان أن أثبت لك صدق ؟

ولكنها سارعت بالنهوض لتلحق بي ، وهي تتعلّق بذراعي

قائلة :

— توقّف .. أيها المجنون .

كانت المسافة بيننا قصيرة في هذا الوضع ، بالقرب من  
باب المنزل ، وتقابلت عيوننا في نظرة جاشت بكل مشاعرنا ،  
وأحسست بحفقات قلبي تكاد تكون مسموعة ، وأنا أضع  
يدي على وجنتها ، التي بدت دافئة وناعمة ، وقد تدفقت إليها  
الدماء ، فاكست بحمرة زادتها جمالاً وفتنة .

وهمست لي ، وكأنها ترجوني أن أرحم ضعفها :

— (خالد) .

همست لها بدورتي :

— (وفاء) .. إنني أحبك حباً لم أعرفه في حياتي من قبل .

وقطع علينا هذا الإحساس ، الذي احتوانا ، وحوّلنا إلى

كيان واحد ، حضور الخادمة المفاجئ ، وهي تقول :

— هل أحضر مزيداً من الشاي ؟

\* \* \* \* \* ١١٧ \* \* \* \* \*

— إنهم يعرفون أنني أتى إلى هنا باعتبارى شريكاً لك في  
المزرعة .

ردت قائلة :

— هذا التبرير لن يكون مقبولاً لحضورك إلى هنا .. ألم تر  
نظرة (أم إبراهيم) إلينا ؟. إن هذه السيدة تعمل لدينا من رحيل  
زوجي ، وكانت تصفني دائماً بالسيدة الفاضلة ، ما الذى  
يمكن أن تقوله عنى الآن ، بعد أن رأيتى معك في هذا الوضع ؟  
قلت لها بصوت غاضب :

— إنها لم ترنا في وضع مشين .. لقد رأتنا في أسمى لحظة  
يعيشها اثنان .. تلك اللحظة التى يوح فيها كلاهما للآخر بحبه  
ومكنون، مشاعره .. اللحظة التى يتوحد فيها اثنان في كيان  
واحد . ليتك تتوقفين عن إفساد تلك الأحاسيس الرائعة ،  
التي أحسها لأول مرة في حياتي ، فلن يقلل حيناً أبداً قيمتك  
كسيدة فاضلة .

قالت بصوت واهن :

— وكيف يمكنك أن تفسر لهم تلك الأحاسيس  
والمشاعر ، التى تتحدث عنها ؟  
قلت بنبرة جادة :  
— يمكننى هذا بالطبع .

\* \* \* \* \* ١١٩ \* \* \* \* \*

انتفضت (وفاء) ، كما لو كانت قد أفاق من غفوة  
قصيرة ، فابتعدت عنى ، متجهة نحو المقعد الذى كانت تجلس  
عليه منذ لحظات ، دون أن تنطق بكلمة ، وجدتني أجمع شتات  
أنفاسي اللاهثة ، وأنا أقول للخادمة :

— شكراً يا (أم إبراهيم) .. لا حاجة بنا لمزيد من الشاى .  
تركنتا الخادمة ، وهى ترمقنا بنظرة ذات مغزى ، فى حين  
عدت أنا لأجلس بجوار (وفاء) ، قائلاً :  
— ماذا بك ؟

قالت وهى تطرق أرضاً ، دون أن ترفع وجهها إلى :  
— (خالد) .. مجيئك هنا ، وتكرار لقائنا على هذا  
النحو ، سوف يثير الأقاويل .  
قلت لها مطمئناً :

— لا تخشى شيئاً ، فنحن لم نرتكب أية أخطاء .

تحولت إلى بوجهها ، قائلة فى شئ من الانفعال :

— من السهل عليك أن تقول هذا ؛ لأنك رجل ، ولكنتك  
لاتعرف ما الذى يمكن أن يقال فى مكان ريفي كهذا ، عن  
أرملة تستقبل فى منزلها شخصاً يلاحقها من أن لآخر ؟  
وقلت لها بلهجة جادة :

\* \* \* \* \* ١١٨ \* \* \* \* \*

— كيف؟

— نتزوج .

نظرت إليّ غير مصدّقة ، وهي تردّد كلمتي قائلة :

— نتزوج!؟

واقتربت منها لأقبض على مرفقها ، وأنا أقول :

— نعم يا (وفاء) .. مادمنّا نحب بعضنا ، فما المانع في أن

نتزوج؟

قالت وقد فاجأها مطلبى :

— بهذه السرعة!؟

قلت لها :

— ولماذا نتباطأ؟

سحبت مرفقها من يدي ووقفت قائلة :

— أنت دائماً تتعجل الأمور .

قلت لها ، وقد تملكني شعور بالضيق :

— لقد حيرتني معك .. ماذا أفعل لأرضيك؟ ماذا أفعل

لأهدئ من مخاوفك؟ ماذا أفعل لأثبت لك حبي أكثر من هذا؟

قالت بعيون متوسّلة :

— (خالد) .. إننا لم نختبر عواطفنا جيداً .

\* \* \* \* \* ١٢٠ \* \* \* \* \*

قلت بسخرية :

— كل هذا ولم نختبر عواطفنا جيداً! .. أحتاج الأمر معك

إلى مزيد من الاختبارات؟

اغرورقت عينها بالدموع وهي تقول :

— أرجوك .. امنحني الفرصة ، ولا تنسُ عليّ .

أمسكت مرفقها هذه المرة في قسوة ، وأنا أقول :

— لن أبقى طويلاً تحت رحمة تردّدك .. هناك سؤالان أريد

منك أن تجيبني عنهما .. هل تجيبني أم لا؟ وهل تقبلين الزواج

منى أم لا؟

انخرطت في البكاء ، دون أن تجيب ، فأبعدت يدي عنها ،

وأنا أقول :

— حسناً .. لن أحضر إلى هذه المزرعة مرة أخرى ،

وسيكون (مدكور) وكيل أعمالى وسيطاً بينى وبينك ، في

إدارة شئون المزرعة .

وتركتها متجهاً نحو الباب ، ولكنها اندفعت نحوى ، وهي

تتعلق بذراعى قائلة :

— أرجوك يا (خالد) .. لا تتركنى ، فأنا لم أعد أقوى على

فراقك .

\* \* \* \* \* ١٢١ \* \* \* \* \*

— يالك من طفلة ساذجة !! لماذا تعذبين نفسك بأشياء

هي في علم الغيب؟

اجابتي قائلة :

— لم أعد أقوى على تحمّل المزيد من الألم في حياتي .

رددت عليها قائلاً :

— قد تحمّل لنا السنون القادمة كل أسباب السعادة .. هل

أعود فأكرّر عليك أنى مررت بنفس محتك ، وفقدت من

أحبهم ، في بلد بعيد ، دون أن أراهم؟ ومع ذلك فقد عرفت

الحب معك ، وأرى أمامي مستقبلاً سعيداً إلى جوارك ، دون

خوف ولا تردد .

عادت تلقي رأسها على صدري ، وهي تقول :

— إنك تمنحني الأمان دائماً منذ رأيتك .

قلت ، وأنا أمسح بيدي على شعرها :

— أما أنت ، فقد منحتي الحب الذي تمنيته دائماً .

وابتسمت لها قائلاً :

— والآن قولي : إنك موافقة على الزواج بي .

ابتسمت بدورها قائلة :

— ألا يسبق الزواج خطبة ؟

\* \* \* \* \* ١٢٣ \* \* \* \* \*

استدرت إليها قائلاً :

— (وفاء) إنك تعذبتني معك ، ولا أدرى سبباً لهذا

العذاب .

قالت وعيناها تنطقان بالصدق :

— وأنا أتعذب أكثر منك ، فأنا لم أحب أحداً على هذا

النحو الذي أحسنه نحوك .

قلت لها ، وأنا أتناول رأسها بين يدي ، لأضعها على

صدري :

— إذن فما هي المشكلة يا حبيبتى؟ .. ألم تنفق في لقائنا

الأخير ، على التخلص من آلام الماضي ؟

قالت ، وهي تسند رأسها على صدري كطفلة صغيرة :

— لم يعد الماضي هو ما أحشاه .. بل المستقبل .

نظرت إليها في حنان ، قائلاً :

— أتخافين من مستقبلك معي ؟

اجابتي قائلة :

— بل أخاف أن أفقدك .. لقد قاسيت كثيراً بسبب

فقداني لمن أحبهم ، وأخشى أن يتكرر هذا معك .

ابتسمت قائلاً ، وأنا أعود فأحتوي وجهها بين يدي :

\* \* \* \* \* ١٢٢ \* \* \* \* \*

قلت متهجاً :

— لسنا بحاجة إلى خطبة ، فالخطبة جعلت من أجل  
التعارف قبل الزواج ، ونحن نشعر بأننا نعرف بعضنا البعض  
منذ أمد بعيد ، كما أن مشاعرنا قد أصبحت واضحة .. أليس  
كذلك ؟

ضحكت قائلة :

— ما زلت عجبواً .. ولكنني مصرة على الخطبة .  
قلت وأنا أخشى أن تتراجع :

— حسناً .. حسناً .. فلنجعلها أسبوعاً واحداً .. إننا لن  
نكون بحاجة لأكثر من ذلك ، وكل ما نحتاجه من مستلزمات  
الزواج سيكون جاهزاً وطوعاً أمرى . عادت تضحك قائلة :  
— فلنجعلها أسبوعين مادمت متعجلاً على هذا النحو .  
وكانت أجمل عبارة سمعتها في عمري كله .



## ١١ — المفاجأة ..

اتصلت بها هاتفياً ، قائلاً :

— أعدى أفضل ما لديك من ثياب ، سوف نعلن خطبتنا

الليلة .

قالت مؤنية :

— (خالد) .. لقد اتفقنا على إعلان الخطبة بعد خمسة

أيام ، عندما ينتهون من جمع ثمار الفراولة .

قلت متخابئاً :

— وهل من الضروري التمسك بهذا الاتفاق ؟

أجابتنى بمرح :

— أنني لا أحب الرجل الذى يستهين باتفاقاته وعهوده ،

ولا أعتقد أنك تنتمى لذلك النوع من الرجال .

قلت سريعاً :

— حسناً .. ولكنني مصرّة على أن ترتدى أفضل ما لديك

من ثياب الليلة ؛ كي أحضر إليك وأصحبك لسهرة رائعة .

\* \* \* \* \* ١٢٥ \* \* \* \* \*

قالت لى :

— وهل ترى أنه من اللائق أن نسهر معا . قبل أن نعلن  
خطبتنا بصورة رسمية ؟

قلت محتجًا :

— لقد أثرت حيرتى .. إننى لا أرى سوى أنك تحاولين  
التخلّص منى على أى نحو كان .  
جاء ردها سريعًا :

— إياك أن تقول ذلك .. إنك لاتعرف مدى لهفتى  
واشتياقى لرؤياك . فالأيام التى لا أراك أو أسمع صوتك فيها ،  
ليست سوى ساعات انتظار طويلة قاسية حتى أعود فأراك من  
جديد .

قلت ، وقد أسعدتنى كلماتها :

— لولا شروطك القاسية لاختصرنا أيام البعاد هذه .

بدا فى صوتها الصدق واضحا ، وهى تقول :

— ليتك تعرف كم أنا متلهفة لاختصار هذه الايام ، التى  
تباعد بيننا أكثر منك ، ولكن شيئا ما يحتمنى على التأنى ، ويلج  
على ألا أندفع وراء لهفتى هذه .

\* \* \* \* \* ١٢٦ \* \* \* \* \*

قلت لها :

— الخوف من المستقبل مرة أخرى .  
بدلت نبرات صوتها إلى تلك النبرة المرححة ، التى كانت  
تحدثنى بها فى بداية اتصالنا ، حتى لا يستغرقنا ذلك الحديث ،  
قائلة :

— ماذا لوجئت الآن إلى المزرعة ؟ دعك من تلك السهرة  
التي تتحدث عنها .. سأعد لك طعاما ريفيًا كالذى أعجبتك فى  
المررة السابقة ولكن هذه المرة سيكون أكثر ترفًا . دجاج .. أو  
حمام .. وأشياء من هذا القبيل .

قلت لها سريعًا :

— حسنًا .. سأحضر إليك فوزًا .

ولكنها استوقفتنى قائلة ، قبل أن أضع السماعة :

— انتظر .. يجب أن تنهى عملك أولاً .. فما زال الوقت  
ميكرا .

قلت لها :

— حسنًا .. سأحضر فى الثالثة تمامًا .

ولكنها عادت تتراجع قائلة :

— بل ليتك تأتى الآن ؛ فأنا بحاجة ماسة لقضاء ساعات

\* \* \* \* \* ١٢٧ \* \* \* \* \*

أطول معك هذا اليوم ، ولا أدري لماذا أشعر هذا اليوم بالذات  
أننى مشتاقا إليك أكثر من أى وقت مضى .

رددت عليها قائلاً :

— يا حبيبتى .. سادع العالم كله من أجلك ، وأحضر

إليك فى الحال .

همست بحنان وعاطفة لم أعهدهما فيها من قبل :

— (خالد) .. إننى أحبك كثيراً .. تأكد أننى أحبك أكثر

مما تتصور .

ووضعت سماعة الهاتف وقد تملكنى شعور غريب .. شعور

بنشوة العاطفة ، والخوف من المجهول .. ولا أدري لماذا

تملكنى هذا الشعور الغريب الغامض .

وفى تلك اللحظة فُتح باب الغرفة ، ودخل (مدكور) وهو

يقول :

— هل أنت مستعد؟

قلت مستفسراً :

— مستعد لماذا؟

نظر إلىّ بدهشة ، قائلاً :

— (خالد) .. ما الذى حدث لك؟ إننا سنذهب لمقابلة

\* \* \* \* \* ١٢٨ \* \* \* \* \*

المستورد الإنجليزى ، الذى ستعاقد معه على الصفقة  
الجديدة ، فى فندق (سميراميس) ، بعد ساعة من الآن؟

قلت دون اكتراث :

— تول هذه المهمة بالنيابة عنى .

قال بانفعال :

— ما هذا الهراء؟.. أنت تعرف أن وجودك ضرورى

لإتمام هذه المقابلة .. الرجل يترك بلده ، ويأتى إلى هنا خصيصاً

لإتمام التعاقد معك ، وأنت تقول هكذا بكل بساطة «تول

هذه المهمة نيابة عنى»؟!

قلت ، وأنا أضع أوراقى فى درج المكتب :

— هيا يا (مدكور) .. لا تبالغ فى الأمور كعادتك .. أنت

تعرف أن هذا الرجل لم يأت بمفرده ، وإنما جاء ضمن مجموعة

من المستوردين ورجال الأعمال الإنجليز ، وأنه لم يأت للتعاقد

معى وحدى ، وإنما مع مجموعة من المصدرين المصريين ،

وبالتالى فلن يكون غيابى ملحوظاً ، وسط هذا الحشد .

ثم نظرت إليه قائلاً ، وأنا أستعد للوقوف :

— ثم أنتى أعرف أنك كفاء تماماً ، لإنهاء هذا الأمر

بالصورة المرجوة .

\* \* \* \* \* ١٢٩ \* \* \* \* \*

[م. ٩. زهور (٤٤) لن أنساك]



النحو .. لقد كانت أعمالك تأتي دائما في المقام الأول ، وقبل  
أى شيء آخر ، حتى في تلك الفترة التي تعرضت فيها لحنه  
فقدك لزوجتك وابنتك ، لم يستغرق الأمر منك وقتا طويلا ،  
ثم عدت لممارس أعمالك ، وتدير هذه الشركة باخلاص  
ونشاط حسدك عليه الجميع .

قلت له :

— أنت تعرف جيدا أنني كنت أحاول أن أهرب بالعمل  
من أحزاني .. كان الأمر بالنسبة لي انتحارا .. ولكن على  
طريقتي المفضلة .

قال لي :

— أعرف ذلك ، وكنت أتدخل بنفسى لإنقاذك من كم  
العمل الضخم ، الذى حاولت أن ترهق نفسك به هذه  
الفترة ، إلى حد الانتحار ، وحدث بيننا مشاحنات كثيرة بهذا  
الأمر ، لكن الأمور عادية بالنسبة لك — طبيعية فيما بعد ،  
وكما تدخلت باسم الصداقة ، وبصفتى نائبا لك في هذه  
الشركة ، لكي أحول بينك وبين هذا الانتحار باسم العمل ،  
فإننى أسمح لنفسى أن أتدخل مرة أخرى ، وبفس الصفة ،  
لكي أحول بينك وبين هذا الإهمال لعملك ، من أجل نزوة  
عاطفية .

\* \* \* \* \* ١٣١ \* \* \* \* \*

خدجنى بنظرة فاحصة وهو يقول :

— وأنت .. إلى أين ستذهب ؟

قلت ، بعد أن غادرت مقعدى :

— لا شأن لك بهذا .

قال ، وهو لا يزال يمدجنى بنظراته الفاحصة :

— إليها .. أليس كذلك ؟

قلت ، وأنا أرمقه بدورى بنظرة مدققة :

— من هى هذه التى تتحدث عنها ؟

ابتسم في خيث قائلا :

— المرأة التى خلبت لبك ، واستحوذت على قلبك . إلى

الحد الذى أغفلت معه عملك على هذا النحو .. (وفاء)

هانم :

— اقتربت منه قائلا في حدة :

— (مذكور) .. إننى لا أسمح لك أن تتحدث عنها بهذا

الأسلوب الساخر .

قال معتذرا :

— أنا آسف .. ولكننى لم أعهدك ، طوال سنوات

صداقتى وعملى معك . منحرفا وراء عواطفك على هذا

\* \* \* \* \* ١٣٠ \* \* \* \* \*

ابتسمت له قائلاً :

— أولاً أنت تعرف أنني لست مهملاً في عملي على الإطلاق ، وإن كنت أعهد إليك ببعض الأعمال الهامة ، فذلك لثقتي المطلقة بك ، وبقدراتك ، ثم إن من حقي أن أحصل على بعض الراحة ، وأن أمتع مشاعري حقها في الحياة ..

— ثانياً : إنني لا أعيش نزوة عاطفية مع (وفاء) كما تدعى ، بل أعيش أهم حدث في حياتي كلها ، ولكي أثبت لك ذلك ..

خذت  
وضعت يدي في جيبى ، مخرجاً ورقة نقدية من فئة العشرة جنيهات ، أضعها في يده ، فنظر إليها باندعاش ، قائلاً :  
— ما هذه ؟

ضحكت قائلاً :

— قيمة الرهان .. ألم تراهننى من قبل على أنني سأقع في حب هذا المرأة .. حسناً .. إنني أعترف بأننى قد خسرت الرهان

نظر إلى الورقة في يده ، وإلى وجهى متحيراً ، ثم قال :  
— هل يعنى هذا أنك ..

قاطعته قائلاً :

— نعم يا (خالد) .. إننى أحبها .. أحبها أكثر مما تتخيل ، ولما تخيلته أنا نفسى .. لقد ربط الحب بين قلبينا برباط وثيق ، وسوف يكون بيننا في المستقبل القريب وثاق أكبر ..  
ستزوج ..

ونظر إلى بدهشة قائلاً :

— برغم أن المقدمات كانت أمامى واضحة ، وبرغم رهائى معك ، إلا أننى لم أعتقد أن الأمور ستطوّر بينكما على هذا النحو ..

قلت له :

— إننى أشعر يا (مدكور) أن الله قد أرسل إلى هذه المرأة ، في ذلك الوقت ، فسمح عني أحزاني ، وتكون خير عوض لى ، عن تلك المحنة التى مررت بها ..

رَبَّتْ (مدكور) على كفى قائلاً :

— إننى أتمنى لك كل سعادة يا صديقى  
وفى تلك اللحظة رن جرس الهاتف فوق مكنتى بشكل متواصل ، فقال (مدكور) :  
— يبدو أنها محادثة خارجية ..

قلت له .

— رد أنت .. وإن لم يكن الأمر هامًا ، تولّ تصرّيف  
الأمر ، فلدى موعد معها الآن .

تناول (مذكور) سَمَاعَةَ الهاتف ؛ ليردّ على المتحدّث ،  
ووجدته يتحدّث بالإيطالية ، ثم سلمنى السَمَاعَةَ ، قائلاً وقد  
اكسى وجهه بتعبير غريب :

— المكالمة من (إيطاليا) .

قلت له بدهشة :

— (إيطاليا)؟! .. هل لنا عملاء هناك ؟

ولكنه قال لى بصوت خافت ، لا يكاد يُسمع :

— المتحدّث يقول : إنها زوجتك .

نظرت إليه بذهول ، وأنا ما زلت أمسك سماعة الهاتف ،  
وبعد لحظة من الصمت ، قلت مردّداً دون أن يفارقنى  
ذهولى :

— زوجتى .. لا بد أنها مزحة من أحد الأشخاص ، ولكنه  
مزاح سخيف .

ووضعت السماعة على أذن ليزداد ذهولى ، فقد كان  
صوتها ..

\* \* \* \* \* ١٣٤ \* \* \* \* \*

صوت (سلوى) زوجتى ، وهى تحدّثنى قائلة :

— (خالد) .. أنا (سلوى) .. إننى أتحدّث إليك من

(روما) .. (خالد) هل تسمعنى ؟

قلت دون وعى :

— ولكن زوجتى وابنتى .. أقصد .. لقد غرقنا ...

ردت قائلة :

— لا يا حبيبي إنما لم نفرق أنا وابنتا بخير ، وسوف نحضر

إلى (القاهرة) .. صباح الغد .

قلت وأنا ما زلت تحت تأثير الصدمة :

— ولكن .. كيف ؟

أجابتنى قائلة :

— إنها قصة طويلة ، لن يمكننى شرحها لك الآن ، فقلت

المكالمة لا يسمع .. أعرف أن الأمر جاء مفاجئاً لك ، ولكن

أطمئن نحن بخير ، وسوف أشرح لك كل شىء فيما بعد .. إنك

لا تعرف كم أوحشتنا يا (خالد) ، وكم نحن بحاجة إلى أن نلقى

أنفسنا فى أحضانك .

ثم انقطعت المكالمة ، وأنا ما زلت واقفاً فى مكانى ،

والسماعة فى يدى . وقد تحولت إلى ما يشبه التمثال ..

\* \* \* \* \* ١٣٥ \* \* \* \* \*

## ١٢ — لن أنساك أبدا ..

كانت تتحرك أمامي بحوية ونشاط لم أعهدهما فيها من قبل ، وهي تضع أمامي على المائدة ألوان الطعام المختلفة التي أعدتها ، وأخذت أتابع حركتها في صمت ، وأنا مازلت واقفا تحت تأثير حالة اللاوعى التي ألمت بي ، منذ اتصلت بي زوجتي هذا الصباح ، ولأحظت هي ذلك ، فقالت :

— ماذا بك ؟ إنك لم تنطق بكلمة منذ جئت

وبعد برهة من الصمت ، قلت لها بوجوم .

— زوجتي وابنتي .

قالت ، وهي ترمقني بنظرة متسائلة :

— ما الذي جعلك تتذكرهما الآن ؟

قلت لها ، وأنا أهدق في المائدة ، دون أن أميز من

الأطعمة الموضوعة أمامي .

أنهما ما زالتا على قيد الحياة .

هوت بجسدها فوق المقعد المواجه للمائدة قائلة :

ولا أدري أى شعور تملكني في هذه اللحظة ..

كان يجب أن أكون في قمة فرحي وسعادي ، فزوجتي وابنتي ما زالتا على قيد الحياة ، ولكن المفاجأة شلتني ، وجعلتني عاجزا عن التعبير عن مشاعري تماما .  
عن حقيقة مشاعري .

\*\*\*



قلت لها ، دون أن أرفع عيني عن المائدة .

— لقد اتصلت بى زوجتى هذا الصباح ، قبل أن أحضر إليك ، وأخبرتني أنها ستحضر إلى ( القاهرة ) غداً .

سألتنى وقد خفت صوتها .

— ولكن .. كيف ؟ أعنى .. لقد قلت ...

قلت وأنا أقدر حيرتها :

— نعم .. لقد تقطعت كل الأسباب ، التى تجعلنى آمل فى

بقائهما على قيد الحياة .. كل شيء كان يؤكد موتهما غرقاً ..

وأتهما تحولتا إلى طعام للأسماك ، ومع ذلك فقد بقيت متعلقاً

بأمل واحد ضئيل ، وهو أنه طالما لم أر جثتيهما بنفسى ، فربما ..

ربما تكونان قد أفلتتا من الموت ، لكن هذا الأمل ظل يتضاءل

شيئاً فشيئاً ، مع مرور الأيام والشهور والسنين ، حتى تلاشى

تماماً ، واستسلمت لمشيئة القدر ، ولكن ها هوذا الأمل

الضئيل يتحول إلى حقيقة ، وها هى ذى المعجزة تتحقق على

نحو .. لم أكن أتوقعه إطلاقاً .

وبدا فى هذه اللحظة أنى قد تخلصت لأول مرة ، منذ أن

تلقيت المكالمة التليفونية من الصدمة ، وحالة اللاوعى ، التى

\* \* \* \* \* ١٣٨ \* \* \* \* \*

سيطر على ، فانتفضت من فوق مقعدى ، وقد غمرتني

حالة من الفرح المستيرى ، وأنا أقبض على ذراعى ( وفاء ) ،

لأساعدها على النهوض من فوق المقعد ، لأدور بها فى أرجاء

الغرفة قائلاً :

— إنهما أحياء .. أحياء يا ( وفاء ) .. أنتخيلين هذا؟ ..

لقد عاد القدر ليشمئنى برحمته .. غداً سأرى زوجتى وابنتى

مرة أخرى ، بعد أن ظننت أنى لن أراهما أبداً .

ابتسمت من خلال عينين حزينتين ، قائلة :

— إننى سعيدة من أجلك .

بدت عبارتها ، فى هذه اللحظة ، وقد ردتنى إلى صوابى ،

فوقفت عن متابعة الدوران بها ، وأبعدت يدى عنها ، وأنا

أنظر إليها فى دهشة .. لقد نسيتهما .. نسيتهما تماماً .. منذ أن

تلقيت هذه المكالمة ، وحتى حضورى إلى هنا ، وأنا لم أفكر فيها

لحظة واحدة .. لقد كان تفكيرى مشلولاً ، تحت تأثير المفاجأة

التي كشفت ظهور ابنتى وزوجتى فى حياتى مرة أخرى ..

وعندما استعاد عقلى وعيه ، لم أفكر إلا فيهما وحدهما ، ابنتى

وزوجتى .. أما هى ، فلم أفكر فيها مطلقاً ، حتى وأنا أقبض

على ذراعيها ، وأدور بها فى أرجاء الغرفة .. كيف تستنى لى أن

أفعل ذلك؟ وما الذى سيحدث بيننا بعدها؟

\* \* \* \* \* ١٣٩ \* \* \* \* \*

ويبدو أنها لاحظت ما طرأ على من تغيير ، فقالت لي  
بهدهوء :

— فيم تفكر ؟ لاتجعل أى شيء فى العالم يسرق منك  
سعادتك ، التى تعيشها الآن .  
قلت لها :

— (وفاء) .. لن يتغير شيء بيننا .. أليس كذلك ؟  
سألتنى قائلة :

— ألم أقل لك .. لاتجعل شيئاً يفسد عليك سعادتك ؟  
قلت لها ، وكأنتى لم أسمع ردها :

— ظهور زوجتى وابنتى فى حياتى مرة أخرى ، لن يُغيّر  
شيئاً من مشاعرى نحوك ، ومازلت أحبك ، ومازلت أرغب  
فى الزواج منك .  
قالت بهدهوء :

— دعنا لاتنحدث عن هذا الآن ، وهيا بنا تناول الطعام ،  
الذى أعددتَه لك .

جلست إلى جوارها على المائدة واجمأ .. لقد أحسست فى  
هذه اللحظة بشيء يقلقل على سعادتى . فقد تحدثت فى تلك  
اللحظة عن الزواج بدافع الحماس . وإثبات صدق عاطفتى

نحوها ، وهى صادقة بالفعل ، فأنا لم أحب مخلوقة طوال حياتى  
كما أحببت (وفاء) ، وتلك حقيقة راسخة فى وجدانى ،  
لا أستطيع إنكارها . لكن كيف سيستقيم الوضع . مع عودة  
ابنتى وزوجتى إلى حياتى مرة أخرى ؟ .. هل سيمكنتى أن  
أتزوجها مع عودتى إلى زوجتى ؟ هل أضحى بزواجى  
العائدة ، وأطلقها ، لأكون خالصاً لها وحدها ؟ .. هذا  
مستحيل !! .. هل أتزوجها مع احتفاظى بزواجى الأولى ،  
ضارباً عرض الحائط بكل شيء ؟ ولكن هذا سيكون بمثابة  
جرح غائر فى نفس زوجتى ، التى لا بد أنها تعذبت كثيراً طوال  
هذه السنين ، وليست بحاجة إلى أن أزيد من عذابها ، كما أنها  
قد تطلب منى الطلاق ، عندما تعلم بالأمر ، فيتشتت شمل  
الأسرة من جديد .. هل أتزوجها سراً ، دون علم زوجتى ، أو  
أى مخلوق آخر بالأمر ؟ .. ولكن السر فى هذه الأحوال لا يمكن  
الاحتفاظ به طويلاً ، ولا بد أنه سيأتى عليه يوم فيكشف ،  
خاصة بالنسبة لرجل معروف مثلى ، وفى تلك الحالة سيكون  
وقع الصدمة أشد على زوجتى ، وقد يدمر هذا العلاقة بينى  
وبينها من جهة ، وبينى وبين (وفاء) من جهة أخرى ، فيتحطم  
كل شيء .

قطعت على (وفاء) أفكارى الخائفة ، وهى ترى عدم  
إقبالى على تناول الطعام ، قائلة :

— (وفاء) .. لماذا تقولين ذلك؟

قالت وهي تنزع قطعة من لحم الدجاج ، لتضعها في فمى ،  
وقد اصطنعت ابتسامه على وجهها :

— هيا تناول هذه ، وحدثنى قليلاً عن ابنتك وزوجتك ،  
فأنت لم تحدثنى عنهما من قبل .

ولكن ابتسامتها المصطنعة لم تستطع أن تخفى عنى أبدا ..  
نظرة الطفلة الشاردة ، التى جربت معنى الضياع ، وتشعر أنها  
مقبلة عليه مرة أخرى .. كانت هذه النظرة محفورة فى عينها ..  
ولم يكن لشخص آخر أن يحسها سوى ..

\* \* \*

عانقتهما بكل حرمان وعذاب الشهور التى فرقت بيسى  
وبينهما ..

نسيت كل شىء ، وتلاشى أمامى أى شىء ، فى تلك  
اللحظة التى جمعت بينى وبين زوجتى وابنتى ..

كانت الفرحة أكبر من أى وصف يمكن وصفها بها ..  
وعدنا جميعاً إلى البيت ، الذى كان موحشاً دونهما ..

عدنا وكأننا قد أفقنا من كابوس كبير شديد القسوة ..  
لقد بدا للمنزل مذاق آخر فى وجودهما ، وأضفت لمستهما

\* \* \* \* \* ١٤٣ \* \* \* \* \*

— لماذا لا تأكل؟

قلت لها ، وأنا أمد يدى إلى أحد الأطباق :

— سأفعل

ولكن ما أن قربت الملعقة من فمى ، حتى أعدت ما بها من  
حساء إلى الوعاء مرة أخرى قائلاً :

— يبدو أننى قد فقدت شهيتى للطعام

قالت ، وهى ترمقنى بنظرة ثابتة ، وكأنها تقرأ أفكارى :

— أهذا بسبب سعادتك بعودة زوجتك وابنتك ، أم

بسبب حيرتك بينهما وبينى؟

نظرت إليها صامتاً ، دون أن أدرى ماذا أقول ، فى حين  
فدت هى يدها إلى أحد الأطباق ، لتناول منه قطعة من لحم  
الدجاج ، قدمتها إلى قائلة :

— خذ هذه منى ، ودعك من أية أفكار أخرى ، فقد  
يكون هذا هو آخر طعام يجمع بيننا .. أريد أن أتذكرك وأنت  
مقبل على طعامى ، كذلك المرة التى تناولناه فيها معا فى تلك  
الحديقة .. أتذكر؟ .. أريد أن أتذكرك وتلك النظرة المرحية  
السعيدة تطل من عينيك ، لاتدعنى أرى فيها مجالاً للقلق  
والحيرة ، فكل شىء سيعود على النحو الذى يسعدك .

قلت ، وقد اتابنى الخوف ، لتلك النبرة فى صوتها :

\* \* \* \* \* ١٤٢ \* \* \* \* \*

على الأشياء بداخله دفناً طالما افتقدته ، منذ أن افترقا ..  
وتحدثت زوجتي قائلة :

— تحطمت السفينة ، ووجدنا أنفسنا في مياه البحر ،  
نصارع الأمواج وقد تحول بعضنا إلى أشلاء ممزقة .. كان كل  
شيء يذهب إلى ضياع ، وتملكتني في هذه اللحظة حالة  
جنونية ، لا يمكنني أن أفسرها لك .. كل ما سيطر على  
تفكيرى ، وأنا أصارع أمواج البحر المتلاطمة ، هو البحث  
عن ابنتا .. لم أفكر للحظة واحدة في نفسى ، بل لم أفزع ويدي  
ترتطم وهي تشق طريقها في المياه بجثة غريق أو أشلاء غريق  
آخر .. كان هناك شيء واحد يدفعنى إلى التصارع مع الموج ،  
ويجعلنى أتشبث بالحياة ، وهو العثور على ابنتى ، وسط مظاهر  
تلك المأساة المروعة ، وكان الله رحيمائى ، فرأيتها تكاد تشرف  
على الغرق ، واستخدمت كل ما تعلمته عن السباحة في  
إنقاذها ، والعموم بعيداً عن المكان الذى أخذت تتساقط فيه  
بعض البقع البترولية الملتبة ، لتزيد من حجم المأساة ، وتحول  
مياه البحر إلى جحيم .. ظللت أسبح بيد واحدة ، وقد  
أمسكت ابنتى باليد الأخرى ، ولا أدرى كم عدد الساعات  
التي ظللت أسبحها ، لكن ما أدريه هو أنسى

نحت قاربنا صغيراً للصيد ، على بعد أمتار منى ، فأخذت ألوح  
له بيدي ، ثم انهارت مقاومتي ، فوجدت نفسى وقد غبت عن  
الوعى ، وعندما استرددت وعيى ، وجدت نفسى بين وجوه  
لا أعرفها ، وهم يتحدثون بلغة غريبة لا أفهمها ، ووجدتني  
عاجزة عن تذكر أى شيء ، فيما عدا أن هذه الطفلة البكماء ،  
التي تقف أمامى ، تمت لى بصلة ما .. واكتشفت أننى فقدت  
الذاكرة ، كما أن ابنتا فقدت النطق ، نتيجة هول ما تعرضنا  
له ، وقد حدث ذلك بالقرب من الشواطئ الإيطالية ، بعيداً  
عن مكان الحادث ، ولم يكن معنا بالطبع ما يثبت شخصيتنا ،  
فقد ضاع جواز السفر والنقود ، وكل ما ينسب عن حقيقة  
هويتنا ، وهكذا استسلمنا لعلاج طويل أنا وابنتا ، فى إحدى  
دور العلاج الخيرية الإيطالية ، حتى استردت ابنتى قدرتها على  
النطق ، واسترددت أنا بعدها ذاكرتى المفقودة ، وكان أول  
ما تذكرته هو أنت ، ووداعك الأخير لنا ، قبل أن نستقل تلك  
الباخرة المشتومة ، وما أن من علينا الله بنعمة الشفاء ، حتى  
سارعت بالاتصال بك وبالسفارة المصرية فى (روما) ، التي  
تكرمت بإعادتنا إلى (مصر) .

قلت ، وأنا أضع يدي على وجنتها :



— زوجتي الحبيبة .. لقد تعذبت كثيرا ..

تناولت يدي لتقبلها قائلة :

— لا بد أنك تعذبت أيضا ، فأنا أعرف مقدار حبك لنا .  
تقدمت نحو ابنتي ، التي كانت تقف في أحد أركان  
الصلاة ، وهي تعبت بإحدى لعبها ، التي تركتها لأهلها بين  
يدي ، قائلاً لزوجتي :

— سأعمل على تعويضكما عن كل ما لقيتاه من عذاب  
والم .

ثم اقتربت من زوجتي ، أضمتها إلى صدري هي وابنتي ،  
وأنا أجهش بالبكاء قائلاً :

— لا تتصورى كم لاقيت من جراء فقدى لكما ، لقد  
كنت أعرف دائما أنني أحبكما بشدة ، ولكن عندما أخبروني  
بموتكما أحسست بأنني قد فقدت جزءا عزيزا من نفسي إلى  
الأبد ، وفي تلك اللحظة أيقنت بأنني كنت أحبكما بأكثر مما  
تحملت ، حتى أن الحياة نفسها فقدت معناها لدى .

وأنزلت ابنتي ، وأنا أضع يدي على كتفي زوجتي ، ناظرا  
إلى عينيها بعشق وصدق ، وأنا أقول :

— ولكن سامحيني يا (سلوى) ، فقد جاء على وقت لم أعد

\* \* \* \* \* ١٤٦ \* \* \* \* \*

أتألم فيه من أجلكما بالقدر الكافي .. جاء على وقت أثقل على  
فيه الحزن ، وأحسست أنني بحاجة إلى التغلب على المعاناة ،  
وممارسة حياتي من جديد ، ولكن صدقيني لم يجعلني هذا  
أنساكا أبدا .

أسرعت زوجتي تضع يدها على فمي ، تمنعني من مواصلة  
الحديث ، وهي تقول بصوت هادئ حنون :

— أدرك هذا .. لا داعي لأن تسترسل في هذا الحديث ،

فقد قلت لك من قبل إنني أعرف مقدار حبك لنا ، ولست  
بحاجة لتأكيد ، أو الاعتذار من أجله ، عن أي شيء ، المهم  
أنا الآن هنا معاً .. لقد عادت أسرتنا ليلتئم شملها من جديد .

لقد حالت (سلوى) بيني وبين التحدث عن كل ما أردت  
قوله ، في تلك اللحظة العاطفية الدافقة ، التي جمعت بيننا ،  
وربما لولا منعها لي ، لاسترسلت في الاعتراف بكل شيء ،  
دون أن أعبأ بإشارات التحذير ، التي نهني إليها عقلي ، ولم  
أكن أدري أية عاقبة يمكن أن يأتي بها ، اعترافي هذا ، لو  
استرسلت فيما منعتني زوجتي من التحدث عنه ..  
لم أكن أدري حقاً .

\*\*\*

\* \* \* \* \* ١٤٧ \* \* \* \* \*

أسرعت بفتح باب السيارة الخلفى ، حيث اندفعت ابنتى  
داخلها ، فى حين جلست زوجتى فى المقعد الأمامى إلى  
جوارى ، وهى تتسم قائلة :

— لا أدرى لماذا تصرّ على تلك النزاهات المتكررة ؟

قلت لها ، وأنا أنظف زجاج السيارة الأمامى :

— على أن أعوض الشهور الطويلة ، التى لم تنتزه فيها معاً  
قالت بهدونها المعهود :

— أنى أفضل دفع المنزل ، عن أى شىء آخر

قلت لها مبتسماً :

— ولكنى لا أعتقد أن ابنتك توافقك على هذا .. أليس

كذلك يا (حنان) ؟

قالت بشقاوتها المعهودة :

— بالطبع يا أبى .. ليتنا نذهب إلى أماكن مختلفة كل يوم

قلت لزوجتى ضاحكاً :

— ألم أقل لك ؟

وضحكت زوجتى بدورها قائلة :

— يبدو أنه لامناص من الاستسلام لرأى الأغلبية ..

وبينا كنت أهم بركوب سيارتى ، استعداداً لمغادرة

المكان ، إذا بى أخها

كانت (وفاء) واقفة إلى جوار إحدى الأشجار ، تراقبنا فى

صمت ..

وأحسست بقلبى يخفق بشدة ، ولاحظت (سلوى)

اضطرابى ، وترددى فى الركوب ، فقالت لى :

— ألن تتركب ؟

قلت لها سريعاً :

— لقد نسيت أننى لا أحمل معى سجانر .. سأشترى علبة

سجانر من المتجر الصغير فى نهاية الشارع .

قالت لى :

— يمكنك أن تشتريها من أى متجر يقابلك فى الطريق .

قلت لها ، وأنا أعود فأغلق السيارة :

— لن يستغرق الأمر سوى ثوان قليلة .

وتركتها وأنا اتجه إلى الشارع الخلفى ، مشيراً إلى (وفاء) .

التى اقتربت منى قائلة بركة :

— إن لك زوجة جميلة وابنة رائعة .

قلت لها :

— (وفاء) إبنتى .....

نحت دمة في عينها ، وهي تقاطعني قائلة :

— أعرف ماذا تريد أن تقول ، وأنا أيضا لم أستطع التوقف عن حبك .. لقد صرت نحيبا في دمي يا (خالد) ، ولكنني مضطرة للانسحاب من حياتك ، من أجل أسرتك ، التي عادت إليك ، ومن أجل سعادتك قلت ، وفي صوتي رجاء :

— إن عاطفتي نحوهما لم تؤثر في حبي لك ، وإذا فكرت في الابتعاد عني ، فأنت تسلميني لعذاب آخر ، وحرمان لا أطيعه .. إنني بحاجة إليكم جميعا في حياتي .

قالت ، وهي تمسح الدمعة التي سالت فوق وجنتها :

— لا يمكن أن تحصل على كل السعادة التي تمنها .. علينا ألا نكون أنانيين ، وأن نفكر في الآخرين كما نفكر في أنفسنا .. فكر في زوجتك وابنتك .. فكر في وقع الأمر عليهما .. إنهما لا يستحقان منا أن نؤذي مشاعرهما .

قلت متوسلا :

— ولماذا لا تفكرين في؟ إذا كانتا جزءا من نفسي ووجداني . فأنت أيضا جزء من نفسي ووجداني . ولا أستطيع التخلي عنك .

قالت بهدوء :

— الزمن سيساعدك على تجاوز لوعة الحرمان والفرق ، كما فعل معك . من قبل ، حينما فقدت أسرتك . قلت لها :

— وأنت؟.. ألا تفكرين في نفسك لحظة واحدة ، إذا كنت أنا سأعود لزوجتي وابنتي ، لأنسى معهما مرارة الفرق ، فما الذي تبقى لك أنت ، بعد أن فقدت كل شيء؟ ابتسمت في مرارة قائلة :

— بقيت لي ذكرياتي معك .. ذكرى الحب القصير في عمر الزمن ، الكبير في صدقه وعمق مشاعره .. تبقى شعوري بالسعادة كلما تخيلتك سعيدا بين أحضان أسرتك الرائعة . حاولت أن أقول شيئا آخر ، ولكنها منعتني من الكلام قائلة :

— هيا أسرع إليهما قبل أن يقلقا عليك : فهما ينتظرانك في السيارة .

استمر شريط ذكرياتي معها يدور في ذاكرتي ..

تلك القصاصة التي أرسلتها لي لتخبرني برحيلها . بعد أن تركت عقد المشاركة في المزرعة مع (مدكور) . ولقائي الأخير

\* \* \* \* \* ١٥١ \* \* \* \* \*

\* \* \* \* \* ١٥٠ \* \* \* \* \*

بها في المطار قبل رحيلها ، وأنا أتثبت بيدها ، عبر الحاجز  
الحديدي الذي يفصل بيننا ..

تذكرت ذلك الطعام الذي تناولناه معاً في تلك الحديقة ،  
أسفل الشجرة ، وكلمات الحب التي دارت بيننا ..  
تذكرت كلماتها ، التي قالتها في المزرعة « وأنى أخاف أن  
أفقدها .. لقد قاسيت كثيراً بسبب فقداني لن أحبهم ، وأخشى  
أن يتكرر هذا معك مرة أخرى ، فلم أعد أقوى على تحمل  
المزيد من الألم في حياتي » .

وعاد صوتها يتردد في سمعي ، وهي تقول لي في المطار :  
— لقد منحنا القدر كل ما اشتيناه من مشاعر وأحاسيس  
رائعة ، وعلينا الآن أن نسدد ثمن هذه السعادة ، وأن نتقبل  
ما فرضه علينا القدر من تضحيات .

وأفقت من ذكرياتي على صوت ، ابنتي ، وهي تقول لي :  
— أبنى .. لماذا لا تشاركننا الضحك ؟ ألا تعجبك  
المسرحية ؟

ونظرت إليّ زوجتي بدورها ، قائلة :

— (خالد) .. أهنئك ما يشغلك ؟ .. إنك تبدو شاردًا .  
قلت لها ، وأنا أحيط كفهها بيدي ، وأضم ابنتي إلى

\* \* \* \* \* ١٥٢ \* \* \* \* \*

صدرى باليد الأخرى ، لأزيدهما التصاقاً لي ، وكأني أستعين  
بضمهما على مقاومة آلام الفراق وحنين الذكرى .

لا شيء .. لا شيء .. إنها مسرحية مرحة بالفعل .

واصطنعت ضحكة مفتعلة ، لكي أطمئنهما على مشاركتي  
لهما في المشاهدة ، ولكنني عدت أسمع صوتها يرن في أذني ،  
وهي تقول :

— وداغًا يا (خالد) .. وداغًا يا حبيبي .. ربما جمع بيننا  
القدر ذات يوم ، وربما حال دون لقائنا حتى نفارق هذه  
الحياة ، ولكنني لن أنساك أبداً وعدت أصطنع ضحكة  
مفتعلة ، ولكنني لم أقو على مقاومة دموعنا انحدرت من عيني ،  
تحمل اسمها ..  
اسم (وفاء) .

\*\*\*

(تمت بحمد الله)

\* \* \* \* \* ١٥٣ \* \* \* \* \*



المؤلف



ا. شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب  
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

### لن أنساك

لقد جمع القدر بين خالد ووفاء  
ليعيشا معا أنسى معاني الحب .. ثم  
عاد ففترقهما بعد لقاء .. وقد يعود  
فيجمع بينهما من جديد في لقاء آخر أو  
يحكم عليهما بالفراق الأبدي .. لكن  
الحب الذي جمع بينهما سيقى  
دائماً أقوى من النسيان .



٢٠١٤



النسب في مصر  
وما يعادله بالدولار الأمريكي  
الدول العربية والعالم